رواية كستن والقيقب

د.زهير منصور المزيدي

2012



رواية شهدت وقائعها فيما بين تركيا وكندا والكويت واليمن ، يستعرض المؤلف وبشكل تطبيقي نموذجا يلخص ما قعَّد له في مجال "تفعيل القيم وممارستها" ضمن سبعة كتب تم إعتمادها في 190 جامعة ومؤسسة تعليمة على نطاق دولي

المؤسسة العربية للقيم المجتمعية
مؤسسة الاعلاميون العرب
Mazq8@hotmail.com
www.zumord.net

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الايداع : 2012/559

ردمك: 978-99966-0-248-1

فصل (رحلة رقم 1209)

كان ملازما لي بشكل جعلني أشعر كما لو انني مازلت طفلا ، لم يفارقني طوال رحله ايصالي الي المطار ، وحتي عندما وصلنا الي مطار تورنتو الدولي ، امتدت يده فالتقط جوازالسفر من يدي ثم اخذ بيدي يرشدني الي حيث مدخل الطائره ، أشعرني بعلاقه من نوع خاص تجمعني به ، اهو تعبير عن محبته لاخته التي ابلغته عندما كان في اسطانبول بأن يذهب نيابه عنهاوبصحبتي لحظور مناسبه تسلم بدر شهاده التخرج ، ام انها تعبير عن لحظه الفراق التي دامت طوال خمس عشره يوم ، فلم يشأ ان يقف عندها مطولا ، فقد تنتزع منه دمعات حاره ، وهو لا يريدني ان اطالع عينيان تغرورقان بالدموع ! علي كل حال اي كانت الاسباب ، فقد كان الفراق مؤلم ، غير ان الذي دفعني للصمود امام لحظات الفراق تلك هو التشوف للقاء مع اصحاب جدد فكلماته التي اسداها الي كان لها فعل السحر ، طبع علي جبيني قبلة دافئة هذه المره ثم اخرج مذكرة كانت لا يفارقه طوال رحلته في إسطانبول وفي كندا فاعطاني اياه وقال لي:
حامد : خالد عزمت علي ان اطبع هذه الروايه ، واردتك ان تكون اول من يقرأ مسودتها الاولي ، آمل ان تنهي قرائتها قبل ان تصل الي الكويت ، فاني اتطلع لتعليقك عليها
خالد: اخذ الروايه ، فاذا مكتوب عليها كستن والقيقبب ، فقال
خالد: عنوان غريب ولكنه جميل ، بكل فخر و سرور يا بوعبدالله .

تعانقا عند كاونتر الخطوط الجوية الكندية ، مستحضران أجمل الذكريات واللحظات التي قضوها معا في إسطانبول وكندا.

خالد: قبل أن نفترق قل لي بإختصار في عبارة واحدة، تكون بمثابة جرعة تعينني على الصمود إثنى عشر ساعة لحين وصولنا الكويت.
حامد: لكنها ستكون جرعة مركزة جدا يا خالد، فهل أنت مستعد؟
خالد: سأغمض عيناي، توكل على الله.
حامد: تصور وبناء على كل ما دار من حوار بيننا في السابق، تصور أن كل شيء من حولنا يتصف بصفات خالق هذا الكون، إن كل شيء من حولنا يتصف بالضرورة بالرحمه لأنها صفة للرحيم وصفة الجبر لأنها صفة للجبار وصفة العطاء لأنها صفة للمعطي، وهلم جرا... وهذا يعني أنك حينما تكون على سفر لوحدك دون صاحب، إستحضر وأنت في مقعدك بالطائرة وكل ما حولك من خدمات تقدم لك من طعام وتبريد أن كل ما سبق مستوف لهذه الصفات، صفات مشتقة من صفات خالقها، ولاحظ أن الفرق بيننا نحن وبين هذه الأشياء إن الله سبحانه أودع فينا سمة الإختيار وسلبها من الأشياء التي حولنا، فهذه الأشياء تنفذ بشكل دقيق تلك الصفات وتمتثل مطيعة عابدة، ذلك ما يعطيك صورة واضحة لما قد تعنيه الآية "أتينا طائعين"، فهي طاعة حقيقية لا مجرد سرد لفظي أو مجازي،
ثم تصور بعدما عرفت آلية طاعة هذه الأشياء التي من حولك، لم عليك الإعتناء بها والمحافظة عليها والتعامل معاها بلطف، مع الشجر والهواء والأدوات التي نستعملها حتى هذا القلم الذي في جيب بدلتك ،فكلها أشياء مسبحة وطائعة، حاول أن ترتقي بمشاعرك يا عزيزي خالد بتواصلك معاها بنفس الموجات الطولية أو القصيرة، لترى من خلالها كيف رب العالمين يتودد لك من خلالها وينصرك من خلالها ويجبر كسرك ويشفيك في مثل الادوية من خلالها، إذا أنت في هذه الرحلة إلى الكويت لست وحدك أنت مع الله أولا ثم مع حشد من مخلوقاته المطيعه، بإختصار إعتبر نفسك عنصر من عناصر أحد مسرحيات "الوالت دزني"، فمسرحيات والت دزني عوددتنا مشاهدة الكتاب يتكلم مع الكرسي والستائر مع الملاعق وهكذا... فأنت لست وحدك، وأتمنى لك رحلة سعيدة مع أصحابك الجدد آند Have fun
خالد: واااو، قد أثرتني وملئتني طاقة يا أبا عبد الله أين طائرتي..؟
فكان الفراق
، وبدأت الساعات الاثني عشر بالعد التنازلي .

هو مستعد الان لوصال من نوع اخر، ان من سيلقاه يحمل رقم D2 فهو الان متحفز لصداقات علي غير مثال سابق ، ...، وأخيرا ، دخل الخرطوم المفضي الي بوابه الطائره ، يتقدم خطوه خطوه اثر جموع المسافرين الذين سبقوه قبل ان ينهي المظيف ندائه ، اتراهم هم ايضا في شوق للقاء مماثل ايضا!

عند باب الطائرة تستقبله المضيفه ، تطالع بطاقته فتقول، ثاني كرسي من علي اليسار

وصل الي من كان ينتظر اللقاء به ، لم يجلس في الموقع الذي حدد له بل اخذ يتامل به واخذ يمرر انامل يده علي القماش الذي يلفه يتحسس درجه نعومه وانسياب الخيوط التي حيكت منه ، متطلعا للتعرف علي سماته ومزاج من سيلتزم صحبته علي مدي اثني عشر ساعة ، ثم تناول كيس البطانيه من رف علوي فتحه ثم فرشه عليه فجلس ، لم يعرف ممن جلس في المقاعد المحيطه بكرسيه ما الذي يقوم به صاحبهم،

الاول للثاني: لعلها الحساسيه انا اعرف اشخاص يتناولون جلسات علاج ترفع عنهم تلك الحساسيه ،

الثاني يرد عليه : صه لعله يسمعك !

اخذ خالد يتامل في كل شي من حوله كما لو كان يسافر للمره الاولي، اخذ يتفقد هذه المره باناملة نوع ما نسجت به البطانيه من صوف ، تذكر ان في مثل لونها كانت تلك العجوز التي افترشت في زاويه من علي ناصيه شارع الفاتح خرقه علي الارض واضعه عليها ما لا يجلب حتي قوت يوم ، كانا ينظران اليها من شرفه المطعم في ساعه متاخره من الليل !

خالد لحامد : ما الذي تبيعه تلك المرأه ؟ وفي وقت كهذا حيث الجميع يقصد منزله ، والمحال تغلق ابوابها

يتفقد حامد الشارع فلا يري غير الماره ، يوجهه خالد ناحيه من ستر جسدها بعبائه سوداء غطت جميع جسدها مع غطاء للرأس ،

خالد: انظر ، موجها وجهه بلطف ناحيتها

حامد: لقد اثرت فضولي ، لم لا نذهب اليها يبدو لي انها عجوز

خالد : الله يعلم كاني اراها شابه في مقتبل العمر تتسترت في عبائه

ذهبنا اليها فاذا بها تعرض ،مجموعه من الدبابيس ومجموعه من المناديل الورقيه وقطعه من قماش بلون وردي لا يتجاوز مساحتها مساحه منديل ورقي ،

قال حينها لخاله حامد : ما تفسيرك ؟ وهي كما يترائي لي انها في السبعين من العمر

حامد: هذه العجوز تقول لنا من ان الرزق مأمن من قبل رب العالمين ، فما عليك سوي بذل السبب ، ثم من قال ان بذل السبب بحاجه الي راس مال كبير ومتجر ورخصه وموظفين ، ان بذل السبب بحاجه فقط الي بذل الوسع ، وهذا هو وسع تلك المراه السبعينيه ،

خالد: ساشتري منها قطعه القماش هذه التي لست بحاجه لي بها

خالد للمراه السبعينيه : بكم هذه

المراه السبعينيه : بيش ليرا

حامد : ارايت كيف كتب الله لها الرزق في الساعه ١١:٣٠ ليلا من خلال شخص يدعي خالد قادم اليها من الكويت ، اي صرف مبلغ كبير للوصل الي تلك السيده كي يمنحها خمس ليرات

خالد: ولكنها خمس ليرات فقط

حامد: انا افضل ان اخذ خمس ليرات مباركه خير من مليون ليره منزوعة البركة

خالد : إذا الامر يعتمد علي كيف نري الاحداث من حولنا

حامد: بل وكيف تعتقد ، تلك لحظة التربيه الربانيه ، ما عليك سوي أن تتأمل فيها وتعتبر

يقطع تفكيره خالد ، ثم يتسائل ، ولكن اين وضعت قطعه القماش تلك ؟ ، لم اضحت عزيزه علي في هذه اللحظة ؟ ياه متنهدا ، تلك هي الرساله الاولي التي اسدتهالي (البطانيه) ، صدقت والله يا بوعبدالله ،

تمر المظيفه تطلب من الجميع ربط الاحزمه استعدادا للسفر ،

قال خالد في نفسه لابدأ في قراءة رواية بوعبدالله ، علي أختمها قبل وصولنا الي الكويت ، فتح الصفحة الاولي من ما خطة ابوعبدالله فقرأ :

الفصل الأول (السماء)

بين حقيبته وأغراضه استعدادا للسفر يحكم إغلاق الشنطه، يسحب سحاب معطفه نحو الأعلى فيبدو لنا وجهه الخمسيني، يرن الهاتف الجوال، يضع يده في جيبه فلا يعثر عليه، يتفقد الغرفة، يجده أخيرا على المنضدة، يتجه نحوه فلا يلتقطه يدير راسه كي يستبين اسم المتصل، يبتسم ثم يجيب:

"الو ..لاتقولي وصلت المطار؟! هذا انت ما تغير طبعك افشقه الله يحفظك ياخوك باجي ساعه ونصف على الطياره وكاني بطلع الحين وبحيل الله عشرين دقيقه انه عندك"

داخل المطار من أمام الكاونتر يفتح المحفظه ليستخرج الجواز ويمنحه لموظف الخطوط الجوية التركيه قائلا:
"نعم فقط اثنان إلى إستانبول"

تم الإعلان عن موعد الإقلاع واصطف الناس أمام البوابة استعدادا للدخول للطائرة لتبدأ رحلة كل مسافر على حدى ولتكتب قصة جديدة، ممر الطائره من الداخل يبدو أوسع من المعتاد، مقاعد متراصه بدقة شديدة والجميع ينتظر موعد هبوط الطائرة.

هناك رجل غطت معظم أجزاء جسده بما يتصفحه أزال الصحيفة أخيرا وبدء حديث الصاحبين:
- بو عبد الله: "اقول خالد عساك ما نسيت رقم حجزك في الفندق، انا واحد مفتاح شقتي معاي، اذا تحب تبات عندي الليله قبل ما تتشرف ام العيال"
- خالد: "مشكور بوعبد الله، انا ما احاتي وين ببات الليله كثر ما احاتي شلون بنتحمل ثلاث ساعات في الطيارة على ما نوصل، من شذي ودي انكمل حديثنا الي بديناه في المعهد، أذكر قلتلي ان قصر دولما بهاشا في استانبول للسلطان عبد المجيد استغرق بنائه نحو ثلاث عشر عام وعاش فيه ست سلاطين، ونحن هنا نتحدث عن حوالي عام 1856، آنا كنت استعرض لكم اثناء درس اللغه الفرنسيه قصر فرساي الفرنسي الذي تم تدشينه قبل قصر دولما بهاشا، ثم عقدنا مقارنات، والجميل اني آنا زرت قصر فرساي وانت سبق ان زرت قصر دولما بهاشا وهذي فرصه لي اني اعاين هالقصر ابهالروحه، لكن عندي سؤال مو علي القصر لكن علي الامبراطوريه العثمانيه في ذاك العصر".
- حامد: "شنهو سؤالك؟"
- خالد : "هل سقوط الامبراطوريه العثمانيه كان بسبب مرض الامبراطوريه وضعفها بالفعل، وهل كان ولاء بعض قبائل العرب للبريطانيين هو ما ساعد على النخر في هذه الإمبراطورية في الخليج ؟"
- حامد : "واو، سؤالك هذا يحتاج إلى جلسات حوار وبحث من أجل الوقوف على الحقيقة، ولكن لدي شعور لا يخالجه شك من ان تاريخنا قد تم تشويهه، وإذا أحسنا الظن نقول أن من كتب تاريخنا لم يفهم بالضبط حقيقة ما كان يدور من وراء الكواليس، فهو عندما كان يكتب الأحداث التاريخية كان يكتبها بعد ان يستعرض الحدث بشيء من التحليل بما يتفق مع ما ألم به من معلومات، حيث أن المعلومات المتاحة في تلك الحقب التاريخية كانت محدودة ليست كما هو الآن، فنحن الآن أمام أرشيف عثماني يحوي ليس أقل من خمس مليارات وثيقة، وقد بدأ الباحثون في كشف أسرار ما كان يدور ويكشف لنا العلاقات، وأصبحت الحقائق تتكشف وأضحت متاحة للجميع من على الإنترنت، لذلك للإجابة على سؤالك هذا يحتاج إلى شيء من الروية وعدم التسرع".

بين أزقة أسواق تركيا الغنية بروح القدم وأصالة ثقافة البلد هناك عند زقاق طويل يمضي فيه الماره من مشارب الأرض، يلفح دخان يداعب شهوه جائع من عند بائع الكستن، أهل البلد يتبعون طقوس جميلة حيث ينتشر البشر أركان الشارع في مجموعات صغيرة حول طاولة أثقلتها استكانات شاي عال الجودة، ولساعات وساعات طويلة يتجاذبون الأحاديث الإجتماعية وآخرين يسبحون في عوالم الأدب والعلم.

فتى عامل في أحدى المقاهي الشعبية يحمل بيده صينيه فيها خمس إستكانات شاي زجاجية، استقر امام مجموعه ملتفه حول عالم تماما عند ناصيه الشارع يقوم على خدمتهم، تسمع تداخل كلمات تركيه (تشكر إدريم)
لكن ما بال ذاك المقهى الأنيق عند طرف الشارع؟ تبدو أغلب الطاولات فارغه تنتظر من يشغلها باستثناء اثنين يرتشفان الشاي، خالد و وحامد.

ملعقه في دوران رشيق بقلب استكانة الشاي سريعه ولكن بحركه عكسيه، لفت انتباه خالد ما جعله يعلق باستغراب:
خالد: "غريب أول مره أشوف واحد يحوس لستكانه بالعكس!
حامد: "تعجبني.. قدرتك علي الملاحظه السريعة
خالد: "شلحكمه يا تري
حامد: "أبد، هي يمكن تقول وجه نظر.
خالد مستغربا: "وجه نظر! حتى في حوسة الإستكانة؟

حامد: "ليش الحوسه إلي أحنا عايشين فيها يعني أقل، غريب انتبهت حق حوسه لستكانه وما لاحظتك مره تعلق على كثير من الأحداث اللي تمر من حولنا؟
خالد: "يمكن لاني ألفت الحوسه إلي حولنا، تعايشنا مع الاخطاء ماعدنا نتأثر فيها وماعادت تلفت نظرنا، صارت شي عادي.
حامد: "وبعد ما نألف أقصد نتعود يموت فينا الشعور والإحساس فتختلط الأمور فلا نعرف الصواب من الخطأ ولا نعرف ما لنا وما علينا، ترتكب الخطأ فلا ينتقدك أحد وتعمل الصواب فلا تجد من يشجعك، وإن شجعوك فيشجعونك بقلوبهم فلا يرتقي التشجيع إلى حتى اللفظ!
خالد: "هذه نظره سوداوية للحياة والا هموم متراكم؟ والا إعلان الإنهزام؟
حامد: "لا، مجرد دعوة لإعادة التشكيل.
خالد: "إعادة تشكيل شنهو؟
حامد: "إعادة تشكيل عقولنا، حواسنا، قراءتنا لما تمضي من حولنا أمور ومشاهد وأحداث، إعادة التشكيل هذه هامة حتى لا نموت، أو حتى لا يصدق فينا قوله سبحانه: "بل هم كالأنعام بل هم أضل".
خالد: "ما فهمت؟".
حامد: "يعجني فيك حب البحث عن الحقيقة".
خالد: "حقيقة! احنا نعيش الآن الحقيقة".
حامد: "بل أنت تعيش الواقع".
خالد: "رحنا شفي" هامسا في نفسه، مضيفا: "بو عبد الله أنت نمت البارح زين؟ أقصد شالفرق بين الواقع والحقيقة؟
حامد: "هذه سالفة تطول، إلا قولي، الحين إذا مرت من أمامنا سيارة في الشارع وقام السايق يقط كل اللي فيها من أوراق وزباله بره بغير إكتراث، شنهو يكون تعليقك على تصرفه؟
خالد: "أكيد هذا تصرف غير مسؤل ولازم يعاقب عليه وما في احد في الدنيا يقول ان تصرفه يمكن يكون صح.
حامد: "استعجلت يا خالد".
خالد: "شلون! يعني تبيني أقوله شكرا مثلا، منهو الحين فينا إلي ألف الواقع وتعود على الخطأ آنا والا إنت؟ الله يهديك يا بو عبد الله.
حامد: "وإذا عرفت أن السيارة شبت ابداخلها نار وشاف من باب الحد من انتشار النار انه يتخلص من كل الموجودات داخل السيارة حتى ما تشب فيه!"
خالد: "ها!"، في محاولة للتعرف على وجة نظر حامد.
حامد: "شنهو تقول الحين، إلي سواه من تصرف صحيح والا مو صحيح!".
خالد: "يعني تقصد انه اضطر لمثل هالتصرف، أو.. تبي الصج والله شنه تصرف ذكي قي لحظه أزمه، والله شنه صحيح إلي قام فيه، لحظه.. لحظه بوعبد الله يعني أنت بتقولي أن الحوسه إلي احنا عايشين فيها يمكن كلها تكون صح وما فيها أخطاء!".
حامد: "عورت راسي، ابيك اتفكر من الحين لي المغرب شود مثل ما قلت شكلي مو نايم عدل البارح".

يفتح محفظته ويخرج عشر ليرات ويضعها على الطاولة متجها نحو أحد الزقاق بين الطرق.
خالد مناديا بصوت مرتفع: "بوعبدالله شكلك بتنام اليوم في الشارع، تركت مفاتيح الشقة على الطاولة، إلا قولي الحين العشرة بقشيش والا المفتاح بقشيش!".
رجع حامد نحو ما خلفه: "أهوو ياكرهك لما اتنكت!".

خالد وهو متجها في الإتجاه المقابل محدثا نفسه: "والله شنه معقول لو آنه منه مو بس اقط الأغراض من السيارة، اقط نفسي منها بعد، بس اشدخل هذا بالواقع والحقيقة؟، آنه هذا إلي شادني ابهالربال، كل شي فيه غير حتى ابحوسته لستكانه، الله يستر ما دري وين بيوديني معاه، اومادري منهو اللي ابتلش في الثاني أنا والا هو.

وبعد مضي 40 دقيقه من الاقلاع ، توقف خالد عن القراءه ، ولاحظ
طفلان احدهما في اقصي الطرف المفضي الي مطبخ التحضير والاخر في منتصف الطرف المفضي الي مقصوره القياده ، يدحرجان كره اسفنجيه ، وفي كل مره يدحرجانها يقع في نفسي ان التقطها ، غير ان في التقاطي لها قد ازعج الطفلين معا ، ففي لحظه الالتقاط ستحبط نفسيه الطفل الذي القي بالكره ، ذلك انها لم تصل الي الهدف الذي كان قد خطط له بعنايه ، اما الطفل الثاني فاحباطه النفسي سيكون اعظم ، ذلك انه كان يترقب وصول الكره ، وهو متاكد ومستعد للحظه التقاطها وتتعاظم تلك اللحظه كلما اقتربت الكره في مسارها نحوه ، غير ان الامل الذي كان يراه بعينيه تبدد في لحظه ، فهو لم يكن مستعدا

نفسيا اليها ، خاب امله فيما كان يتوقعه ، هكذا نحن البشر ، تذكر خالد هنا علي وقع عبارة "هكذا نحن البشر" الحوار الذي جرى بينه وبين خاله حامد عندما كانا نازلين في أحد الفنادق في مقاطعة مونتريال ، فهو يذكر تماما حامد عندما قال :

نجتهد في التخطيط في امل تحقيق هدف ، فتجدنا محبطين حال كنا قاب قوسين او ادني من تلقي خبر سار كنا نتوقعه ، فلا يتحقق ، ونتسائل ما طبيعه تلك اللحظات التي تصيبنا ؟ ما الرساله التي تريد ان توصلها تلك اللحظات الينا ؟ اهي ما تدعي بالاقدار ؟
خالد : ولكن ما هو مفهوم القدر ؟ ما اخال القدر الا موقف تربوي ، يقصد منه توجيه الانسان ، ويقصد منه تربيته ضمن هذا الموقف الذي عاشه مع كل نفس ،
حامد : وما اعظمها من تربيه للسلوك ، هذا ان ادرك العقل العبره ، وتبين المقصد ، واذكر في هذا لموقف تعرضت اليه مع مدير هذا الفندق من خمس أعوام علي ما أذكر ، حيث بعد أن جمعتنا علاقة وطيده من الود والصداقة مع مالكه وقد جزائري الاصل حاملا للجنسية الكندية ، فقبل يومين من مغادرتي للفندق ساعدني هو بنفسه بعملية تعديل موعد مغادرتي من كندا الي الكويت ، حيث أصبح من المقرر أن أغادر في تمام الساعة الثامنة مساءا في اليوم الذي عدلنا فيه الحجز ، والذي حدث هو أنه في ذات يوم رحلة مغادرتي الي الكويت وفي الساعه الحادي عشر صباحا ، بعث الي موظف الاستقبال ليطلب مني اخلاء الغرفة خلال 15 دقيقه عند بلوغ الساعة 12 ظهرا ،
خالد : معقول ! ، ولم هذه العجلة
حامد : لم أصدق مطلب الموظف وطلبت بعد إصرار الموظف علي الاخلاء أن التقي بمدير الفندق
خالد باهتمام : وما الذي تم
حامد : طبعا كي اذكره بأنه هو من حجز لي التذكرة كما إنه يعلم من أن موعد الطائرة الساعة الثامنة مساءا لا الثانية ظهرا ،
خالد : وطبعا تذكر واعتذر
حامد : بل رفض مدير الفندق ، مستمسكا بلوائح الفنادق العالمية ،والتي تقرر أن موعد إخلاء الغرف يجب أن يكون في تمام الساعة 12 ظهرا ما لم يخطر النازل موظف الاستقبل برغبته بالبقاء لمدة ساعة أو ساعتين ، وهو ما لم يتم من خلالي ، لانني إفترضت أن مدير الفندق بلباقته وبديهيته سيقوم بذلك تلقائيا ، كانت صدمتي كبيرة ، ذلك إن الصداقة والمودة التي بنيناها سويا تبددت في ثوان قليله ،
خالد : لاحول ولا قوة الا بالله
حامد : ويزيد الطين بله أن مدير الفندق يصر علي إخلائي بحكم أن جميع الغرف مشغوله وأن النازل الجديد لا يمكنه أن ينتظر طويلا فهو أولي بالغرفة مني، ...الغريب يقارن بيني أنا الذي بقيت معهم في الفندق علي مدي خمس عشر يوما ! مع من لم يسكن يوما واحدا فيه
خالد : إحباط كهذا يكون ذو أثر عميق إذا كانت الآمال المعقودة كبيرة ،
حامد : بلا شك أنني تعلمت درسا لن أنساه من موقف كهذا ، غير أن الدرس الاكبر ، واللحظة التربوية الكبرى جائت بعد مضي أقل من ساعة ،
خالد : معقول ! درسا اكبر من الذي تعرضت له !
حامد : فأنا وبعد أن أخليت الغرفة في الموعد المحدد ، وطلبت من موظف الاستقبال حجز سيارة أجرة لي لايصالي الي المطار ، حيث لم أكن قادرا علي المكوث في الفندق بعد تعكر صفو العلاقة فالمزاج ، فقررت أن لا أترك الفندق دون أن أتغافر مع صاحب الفندق ، فلا أريد أن أجعل للشيطان منفذا الينا ، فشاهدته من وراء الشباك الزجاجي وهو يمتثل لمغادرة الفندق ، فتوثبت علي الفور وذهبت اليه ، فاستغرب من مجيئي ، وكنا قد علت أصواتنا من قبل نصف ساعة ضمن حوار أقرب ما يوصف بأنه حوار للطرشان ، فخرج علي الفور من السيارة ، فقلت له ، لا اريد أن يكون في قلبك شيئ علي ، قد أكون أخطأت في عدم طلبي لتمديد ساعتين ، فبادرني قائلا ، بل اعلم ان الفندق فندقك ، ويعلم الله بأنني أحبك ولن أجعل ما جرى سببا لفرقتنا ، ولتعلم أن في مجيئك القادم لن أتقاضي منك مليما واحدا ، كما إنني لن أدعك تنتظر سيارة الاجرة فأنا من سيقلك الي المطار ،
يعاود حامد ليقول : هكذا في لحظات تغير كل شيئ بل أضحت اللحظة مواتية لعلاقة ايجابية اكثر عمقا ، حيث قضينا ساعة في الطريق الي المطار ، تعرف مدير الفندق علي مشروع حيويى كنت قد عزمت علي تنفيذه في كندا ، وتبين لي بانه داعمي الاول في تنفيذه ، تلك كانت لحظة تربوية ربانية ، فخفض الجناح ، وممارسة مفهوم "الاذلة علي المؤنين" لها عوائدها الفورية .
خالد : نحن نجد انفسنا أحيانا امام مشهد او موقف في مرحله عمريه ما ،فلا نجد لما عايناه من تفسير ، فنمر عليه مرور الكرام ، كما لو ان شيئا لم يكن ، ثم وبعد مرور شهر او ربما سنوات ، نجد انفسنا في موقف اخر ، فيعمل الدماغ وبشكل تلقائي كي يذكرك بذلك المشهد القديم ، حاثك علي ايجاد رابط بينهما ، فتتامل فاذا بك تصل الي ما يشكل تفسيرا لما عجزت

عن تفسيره ، تلك لحظه تربويه بدأ غراسها في تلك اللحظه الزمنيه القديمه كي يتم حصادها في لحظه حاضره كهذه ، ذلك هو الرب الذي احسن كل شيئ صنعه وخلقه .

ياه هذه ايضا ، الكره الاسفنجيه و كانت من قبلها البطانيه ، تمنحني فائده جديده ، من يكون البطل هنا ؟هل كانا الطفلين ابطال تلك العبره ام تراها الكره ؟
اما الكره فما اظنها الا ماموره بالالتزام بما حُملت به من امانه في التبليغ ، تبليغ ما حٌملت به من امانه توصيل رسالة وعبرة ، فقد عبرت بحق عما كلفت به واجادت ، شكرا لخالقكم الذي احسن كل شيئ خلقه .
ينظر الي ساعته فاذا بالاثني عشر ساعة تتناقص ساعه ، فيقول في نفسه ،
خالد: جميله بما حملته الساعه الاولي من لحظات ومعيه مع اصدقاء جدد ، لم اكن اتوقع صداقاءات كهذه ، فتح الله لك يا حامد يا بوعبد الله ، أما الان فالاعد الي الرواية ، فقرأ :

تزامن صوت منبه الساعة مع ارتفاع نداء المآذن، أيقظت جسدا كان نائما ليجيب، "الله أكبر" دخل الجميع في الصلاة، يدان على الأرض في حالة سجود سكنت الأرواح وانتهت الصلاة ليبدأ يوم جديد.

انتشر جموع المصلين خارج المسجد، كلا يسير في زقاق افترشت احد زواياه بمجموعه أعمال فنية؛ لوحات مرسومه خصيصا لترضي السائح، كلها تدور حول معالم إستانبول، جذبت حامد احدى الأعمال، فسأل البائع: "بكم هذه؟"، رد عليه: "بخمس"، ثم اشار اليه بيده دون ان يلفظ كلمة بما يعني (لفها)، وضع النقود في يد البائع ثم سأل:

- حامد: "هل سماؤكم هكذا في وقت الشتاء"
- البائع: "هذه ليست سماء **!**"، بتردد قال لكنه خشي ان يسترد نقوده فباشره بالقول: "بل هي كذلك اذا كنت تراها سماء"، استغرب حامد من الافاده السريعه التي اعاد صياغتها بشكل ذكي ما جعله يتعلق اكثر بما اشتراه. فقال:" الله يعيني على خالد"،
- البائع: "عفوا، لم افهم ماذا قلت"
- حامد: "اعني تشكر إدريم

في المقهى يرمق كل من حامد وخالد اللوحة المرسومة.

- خالد: "لا والله لا شيء سوى السماء، أنت متأكد أن ما يبدو أنها سماء في هذه اللوحة هي ليست بسماء؟ لحظة أتأمل مجددا، ها ربما إذا قلبناها هكذا، لا مستحيل ربما بزوايه ٤٥ درجه، كمان مستحيل، ربما من الخلف، لا.. هذا جنون، هذا الرجل يريد أن يجنني، حامد.. حامد.."، وهو يتفقد حامد من حوله، "وينك بوعبد الله، آه منك سويتها فيني ورحت**!** إي بس اشتطلع إذا هي مو سماء؟".

من بلكونة غرفة حامد منظر بانورامي من أروع مشاهد إستانبول الساحره بتضاريسها، "سبحان الله خضره كل مكان وبحر على مد البصر.." في حديث مع نفسه، ومهرجان من الطيور هنا وهناك، وسفن تبحر على مدار الساعة، ارض تنبض بالحياه، قال بصوت مسموع: "ما اكرمك يا الله على هباتك"، متفكرا في نفسه ومتسائلا: "هؤلاء قوم يعشقون شمسنا الحارقة يتلذذون بكل لحظة يبقون بها تحت أشعه شمسنا الحارقه ونحن متيمون ببروده أجوائهم ونقاوة هوائهم، فأي عطاء هذا يقف أمامه الإنسان تارة ناكر له وتارة ضائق به، لا هو حامد ولا هو شاكر مع علمه انه غير خالد فيما هو فيه، اللهم حمدا وشكرا على ما أعطيت".

صوت التلفاز من داخل الصالة لا يزال في شغل شاغل، يقصد جهاز التحكم عنه باحثا ليطفئه فيستوقفه مشهد البحر وفي عمق البحر سفن مواخر فيه، فيتسائل ما سر انشراح الصدر بمطالعه ذات المشهد من البلكونه، ومقارنته مع مشهد مماثل عبر شاشة فضية، ما سر التأثير المضاعف مع أن المشهد واحدا، ودرجة الحرارة المحيطة بي واحدة، تسائل في نفسه: "بل انني استمع لأصوات العصافير وهي تغرد في المشهد التلفزيوني بشكل اوضح، ما الذي يجعلني متسائلا هكذا، أهو مشهد اللوحة التي اشتريتها أمس من بائع اللوح؟".

- خالد وهو أمام بائع اللوحات في حيرة من أمره مخاطبا البائع: "قل لي بالله عليك بالأمس اشترى منك صديقي لوحة سماء مدينتكم الساحرة، غير أنك قلت له أن المنظر ليس بسماء ما عساه أن يكون؟".

- البائع: "هل جننت؟ يمر علي في اليوم الواحد مائة مشتري، وأبيع في الأسبوع ثلاثمائة لوحه، فأي لوحه تقصد وأي شار تقصد؟"، في شغل يرتب ما خلفه أحد المطلعين على الأعمال مضيفا: "ثم ان كل اللوحات عبارة عن رسومات لسماء استانبول"، وأخذ يردد إجابة أحد المتسائلين السواح:" (بيش ليرا..بيش ليرا) أي خمس ليرات فقط، خمس ليرات فقط"، شعر خالد بخيبة أمل كان هدفه مفاجئة صديقه حامد بالإجابة، كي يسدد عليه رميه، تجعله في مقام الأذكياء والحكماء أمام صاحبه.

كوب قهوة بالحليب وجلسة حالمة ومارة من مختلف الثقافات تجوب الطرق من أمامهم، وقد ارتسمت بعض التصاوير على وجه القهوة، يعلق حامد قائلا: "نعم هذا صحيح ليست سماء"، يخرج اللوحة مجددا من حقيبته ويتأمل فيقول: "سبحان الله، بالفعل ليست سماء، فقط لو لاحظت الزاوية السفلية من اللوحة".

- خالد وهو مارا عليه: صبحك الله بالخير صاحبي، اليوم أنت غير، نشاط ما شاء الله ومفعم بالبهجة**!** شكلك كبرت المخدة عدل**!**".
- حامد: طبعا أكون مفعم بالبهجة وهي نفس البهجة إلي بتيبك إذا قلتلي أن هذي مهي سما فشتكون مثلا".
- خالد: والله يا صاحبي الشذب خيبه، أنا توني راد من إلي باعك اللوحة، إذا هو ما يعرف يعني أنا بعرف**!**".
- حامد: غلطان، إلا هو يعرف تمام، أصلا هو إلي قالي أي سما هذه مو سما؟".
- خالد: ولييت، شكلنا ما راح نخلص، أمس قلنا شكلك تعبان وعفستنا هالنوب وأنت منتعش، الله يعينا على التعلم والتحلم".
- حامد: إذا رب العالمين يقول: "فأرجع البصر،.. ، ثم أرجع البصر كرتين"، حاول، تأمل، طالع يمين، طالع شمال، شوف فوق، هل كل إلي تشوفه بس غيم والا بعد في شي ثاني؟".
- خالد: "ها؟"، وهو يفتش ببصره يمنه ويسره بشكل متخبط"، "أه، شنهو هذا؟ سفينة يادوبك تنشاف طايره في السما**!**".
- حامد: إلا هذا أنت طاير ابمخك، نعم بالضبط سفينة على الماي والماي كثر ما هو دهينه صار شنه مرايا، عكست صورة السما بغيومها على الماء، فصرنا ما نشوف الماي، بس انشوف السما**!**، شذي أنت تكون قربت شوي من الفرق بين الواقع والحقيقة".
- خالد: ألقي عندك بندول، ثلاثة الله يخليك**!**".

قطع خالد استرساله في القراءه إثر قدوم المظيفه ،
فلا باس في ساعه استرخاء لمده خمس دقائق ، لحين وصول المظيفه التي كانت توزع علي المسافرين طعام الغداء ، اغمضت عيني للحظه ، ثم فتحتها اثر رائحه نفاثه للطعام توقظني ، فاذا بي امام مجموعه متنوعه من السلطات مع بعض المازات ، بل ان زميلي المسافر الذي يجلس بجانبي يكاد ينهي طعامه **!** استغربت كثيرا ، متي جائت المضيفه ومتي اكل زميلي وانتهي من طعامه **!**، كم بقيت مغمضا عيني **!**، بلا شك انها لم تكن خمس دقائق بل اظنها كانت ربما عشرون دقيقه بل ربما نصف ساعه **!** غريب هذا الدماغ فيما جبل عليه من اداء وغريب فيما يتعاطاه بعد ذلك من معلومات فيعقل ، تذكرت هنا آيتين كريمتين في القرآن الكريم ، الاولي من سوره يوسف والثانيه من سوره الكهف ، فالاولي (فلبث في السجن بضع سنين) كما لو انها مرت في لحظه ، هكذا يسوقها الله كما لو انها شيئ بسيط يمر بشكل سريع ، وفي الكهف ، (وازدادو تسعا) ، فهم بالرغم من انهم لبثوا ما يقارب الثلاثمائه عام الا انهم ازدادو تسعه اعوام ، بل هم كانوا يشعرون بانهم لبثوا ساعات ، (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) ، هل هذا يعني ان عنصر الزمن يجب ان يعاد النظر فيه من حيث (المفهوم) ، ففي "لبث في السجن بضع سنين" ، قد يجعلك تتأمل في امر الدعوه ، فمن لهؤلاء القوم ان كان قد اودع في السجن من بعث لهدايتهم ؟ غير انك يجب ان تعلم ان الذي جعله في السجن بضع سنين هو من خلقه فاحياه فركبه ، وهو القادر علي ان يزيد في عمره ، فان كان في قدره انه سيحيا ثمانون عاما ، فهو سبحانه الذي سيمد في عمره بضع السنين التي بقي فيها في السجن كي يكمل فيها رسالته ، فتلك هي لحظه تربويه لما يجب ان يمتثل اليه البشر ، فانت لك مهمه عليك ان تنجزها ، فما عليك سوي بذل السبب ، وانت مامور ببذل السبب كمكون رئيسي في التوكل علي الله ، غير ان الارتباط يجب ان لا يكون بقدره الاسباب وانما برب الاسباب ، ويوسف عليه السلام طلب من صاحبه الذي كان معه في السجن ان يذكره عند ربه (أذكرني عند ربك) ، وهذا ما

جعل الموقف التربوي ، أن يمكث في السجن بضع سنين ، والله اعلم ، بينما مع اهل الكهف ، فهم قد مكثوا فيه ثلاثمئه سنه ، عطيه من الله وحفظا لهم ، واحد المعاني التربويه التي تتجلي هنا هو في مسأله الصبر ، وسنن التغيير واللحمه الجماعيه في التواصي بالصبر علي ظلم الظالمين ، ومن ان الغلبه مهما طال امدها فهي علي الدام لاهل الحق . ياه ما كنت اتصور ان تكون مائده الطعام هذه سترشدني الي هذا المعني التربوي العميق ، فما دخل يوسف عليه السلام واهل الكهف بمائده جميله للطعام تطير في فضاء رحب عابره للقارات ! انه الله الذي احسن تربيتي.
يلتفت خالد يمنه ثم يسره ، ثم يطلب من المظيف ورقة وقلم ، ثم يقول في نفسه :
يبدو انني سابحث عن ورقه لادرج فيها قائمه من الاصدقاء غير المعودين معي علي متن هذه الطائره ، ياخذ القلم ويكتب ، (بطانيه ، كره اسفنجيه ، مائده الطعام) ، ويبدوا ان القائمه ستطول ما طالت تلك الساعات ، ينظر الي ساعته فاذا بها تشير الي مضي ساعتين ونصف الساعه ،

وبعد إنقضاء تناوله للطعام ، أخذ علي الفور يتجاذب الرواية التي بدت كما لوكانت فيلما سينمائيا يطالعه ، يقول في نفسه أين وصلت !

الفصل الثاني (الأرض)

مذياع سيارة الأجرة يردد أغاني باللهجة التركية "يواش يواش"، بعض مما فهمه خالد من كلمات الأغنية، يتابع حديثه: "نعم بالفعل الموضوع بحاجه إلى هدوء وتروي وعدم تسرع، فالأمر لا يمكن إدراكه دون أن تتأمل وتجتهد فترجع البصر كرتين لا كرة واحدة"،

- حامد: "ويعزز ما أشرت إليه الآية "واقصد في مشيك" وأيضا "ولا تمشي في الأرض مرحا" إنها الأرض، الذي استخلفنا الله فيها، هي أمانه وتحتاج إلى من يرعاها، ورعايتها أن يأخذها هذا الإنسان بحقها وحقها لا ينحصر بما مكنت فيه من كنوز بل بما يجعل كل صور الحياة في جوار متآلفين متوادين، فالجميع خلق الله، "وإن كل إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم"، الحيوان والنبات والهواء كل قد علم صلاته، غير أن الإنسان ظالم لنفسه وتطرف في ظلمه فأصاب بني جنسه وسائر ما خلق الله على أرضه، ألم يقل سبحانه، فحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، ثقيل هذا الحمل، وهو يسير على من زوده الله بالحكمة فجعله يعاين الحقيقة ولا يقف مأسورا عند الواقع".

- خالد: "بوعبدالله آنا شني بديت أفهم شوي الواقع بس يا ترى شنهي الحقيقة؟"
- حامد:"قلت لك موضوع الحقيقة يطول، شنه وصلنا، شرايك انتمشى في هالسوق عسى نحصل على اللي يابن حقه".
- خالد: "توكلنا على الله"

داخل أحد مكتبات المدينة بين أزقة الأسواق القديمة هناك مكتبة عظيمة أثارت فضول حامد فدخل يستكشفها، وقع كتاب لفت إهتمامه فأخذ يقلب صفحاته؛ كتاب مذهل نوعا ووزنا من الجلد الأسود العتيق يحوي مناظر طبيعية ويبدوا أنه متخصص في تصوير الطبيعة، يسأل صاحبه خالد: "شلون تقرا هالمنظر؟"



- خالد: "أقرأ؟! تقصد شلون أشوف، أو شنهو أشوف؟"
- حامد: "مو مشكلة قولي شلون تشوف بعينك وشلون تسمع بإذنك هالمنظر، هو بالأخير سواء بعينك أو بإذنك أو بإيدك هي بالأخير قراءة"
- خالد: "والله المستعان ما نختلف إن شاء الله، أنا أشوف، أقصد أقرأ هالمنظر إنه مجرد أشجار جميلة وطبيعة خلابة لا يمكن وصفها حتى بأبيات شعرية"
- حامد متعجبا: "بس!"
- خالد: "يعني اشتبيني أقول أكثر؟ أصلا ماني سامع صوت عصافير ولا صوت هدير الشلال إلي في الصورة"
- حامد: "عيل خل أقولك أنا شلون أقراها، إسمع معاي، هناك في عده قراءات لهذا المنظر، القراءة الأولى:.. خالد مقاطعا: "نعم ! عدة قراءات؟!"، مستهلا حامد بالقراءة الأولي.. "صلبة وشامخة كالجبال، أنا لهذه الجبال من الزوال، مجرد ارتفاع طفيف في درجة الحرارة أزالتها، هذا الإرتفاع وفر مخزونا من المياه للقارات السبع حول العالم وقلل من موجة الجفاف حيث أنه كان بمثابة رصيد للأجيال القادمة وضع في القطبين الشمالي والجنوبي من الكرة الأرضية.. وهنا يظهر اسم الحكيم، المنان، الجبار، الصبور، الباسط، المهيمن، الرزاق، المحيي والمميت"

أما قرائتي الثانية، "مع الصبر، تزول العوائق والمحن"
وقرائتي الثالثة،" التوزازن الذي خلق الله به كونه يجعل الأرض التي قالت: "أتينا طائعين" قادرة على أن تستشفي نفسها بنفسها عبر ما يسمى بالإيكوسيستم، فهي تستجيب عابدة طائعة، أليس هي من وصفت صخورها "خاشعة من خشية الله" !

فسأله حامد هذه المرة مشيرا إلى صورة قائلا: "والآن قل لي كيف تقرأ هذا المنظر؟"



فقرائتي الأولى، "يبدو بأنه يطل علينا في كل ليله بالرغم من أنه متواجد معنا على مدار الساعة، يعزز في ذلك توازن جاذبية الأرض مع الكواكب المحيطة، والأجرام والكون من حولنا، مانحا ايانا مواقيت الأشهر ومواسم الأعياد ومناسك الحج، هي مجرد أداة واحدة، غير أنها كريمة فيما تعطي، هذا العطاء الكبير لمجرد مخلوق واحد من مخلوقاته سبحانه فكيف بباقي ما خلق؟ هي دعوة لأستكشاف عطاياه، فاقرأ بتمعن"

أما قرائتي الثانية، "يبهرك بتغيرات الألوان في اللوحة الواحدة، ففي النهار يصعب عليك مشاهدة الشمس بعينيك لصغر حجمها من جهة وعظم ضوئها من جهة أخرى، غير أنها عوضا عن ذلك تمنحك ألوان زاهية للطبيعة من حولك تتغير بتغير أوقات النهار، وفي الليل يبدلك بكوكب كبير في حجمه تستطيع أن تتملاه بعينيك، مبهرك مجددا بتحدي من لونين إثنين الأسود والأزرق.. البديع، الجميل، فرصة لعبادة التأمل، والإسترخاء"

أما قرائتي الثالثه، " فهي بالرغم من حجمه الكبير غير أنه أقل حجما من الشمس، فهل من المنطق أن تستسلم لحواسك كي تقول أن القمر أكبر من الشمس، أم تستسلم لله الذي خلقهن وأبدع فيما خلق، إن ما نراه رياضيات بحته، فهو كبير لأنه أقرب من الأرض مقارنة ببعد الشمس التي تبدو أصغر، إذن هي معادلة مسافات، تدعو الناظر للتفكير وإعمال العقل بعلم الرياضيات.. "قل سيروا في الأرض فانظروا"

وقرائتي الأخيرة، "فالقراءات لا تنتهي، الناس نائمون وهي تعمل جاهدة على توفير الأكسجين لتأمين التوازن في الغلاف الجوي المحيط ، في هدوء تام دون صخب أو حراك وإزعاج، تعمل ذلك تعبدا وإمتثالا لقوله: "أتينا طائعين" أليس هي من كانت تأن عندما لم يعد يتكئ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، تلك هي مشاعر الأشجار فهل ننعم نحن بذات الدرجة من المشاعر؟".

سأل حامد مشيرا لمنظر آخر: "قل لي الآن كيف تقرأ المنظر هذا؟"



- خالد: "قراءتي الأولي، هكذا تبدو الأرض بعد ضياء الشمس.. أليست جميلة وخلابة.. الجنة أكثر جمالا.. تنتظرك.. فإصبر وإجعل وجودك في الأرض مجرد جسرا ومعبرا للآخره، وكي تصل بأمان فعل "الصبر فهو الصبور، وفعل التواصل مع من حولك وادعوهم لله والواحد كي تعلو درجتك"

أما قراءتي الثانية، هممم ، آمممم" في محاولة شاقة لتفسيرها

- حامد: "قرائتي أنا من أي فتحة سندخل من تحت الجسر؟ ثمة طرق عديدة لا حصر لها للوصول إلى الغاية، وهو تأكيد بأنه هو الواسع القابض.. فما عليك سوي أن تركز على الهدف بالإمتثال بما طلب"
- حامد: "أحسنت بدأت تعرف كيف تقرأ الان ، وماذا عن هذا المنظر ؟



- خالد: "يمكنني أن أقول ما يلي أهو نوع من أنواع الإهدار والإسراف في الماء؟

أم إنه نوع من أنواع إحياء الأرض بالماء المتدفق والرذاذ المتطاير في كل مكان، هو إغناء للحياة المائية، فمع هذا الشلال تنبت نباتات نادرة، وثمة حياة مائية نادرة أيضا لا تتواجد في بحار تحركها الأمواج، فثمة حياة مع الأمواج وحياة أخرى مع الشلال وحياة ثالثه في الظلام وأخرى في كهوف مائية لم تكتشف بعد، وذلك هو الخالق البارئ المصور"

وكذلك من الممكن أن تكون القراءة كما يلي: ملايين من جالونات الماء في كل ثانية بل بلايين، في الوقت الذي تعاني منه بعض أجزاء من الأرض من الجفاف! يدعونا ذلك للتفكير، أنا لهذا الماء أن نوصله إلى البقع الجافة من أنحاء الأرض؟ فكر

فقد تصل إلى حل مبدع، ولا تستسلم أو تيأس، فالذي خلق تلك المتناقضات يريدك أن تجتهد عقليا وجسديا لحل تلك المعضلة، أليس هو من قال: "إلا بحبل من الله وحبل من الناس"؟، فالدعوة هنا ببذل الأسباب"

- حامد: "أحسنت يا خالد، ما تعلمته بالأمس، أقصد من أيام (مع حمد قلم)، إلى أن تخرجت من الجامعة لم تكن قراءة سليمة بل كانت قراءة منقوصة ومشوهه، والآن لنبدئ الدرس الثاني بعد درس (مع حمد قلم) الآن خل أعلمك شلون تمسك القلم!"

- خالد: "تكفه بوعبدالله (يواش يواش) علي"

- حامد: "الله سبحانه يقول: "اقرأ باسم ربك الذي خلق"

- خالد: "الحمد لله هذى عارفينها من زمان، so far so good "

- حامد: "أحب أقولك إنك بالفعل so far from it أنت يمكن أقولك ما تعرف شي عنها"

- خالد: "شلون؟"

- حامد: "أنت علبالك القراءة المقصوده هي محصوره بقراءة الأحرف أو الكلمات أو الكتب؟ إذا كان هذا فهمك فقد إسترحت يا خالد ومثل ما يقولون: (قد ضيقت واسعا)، ما لاحظت أن القرآن الكريم يستعرض لنا نماذج من القراءات، الأولى قراءة تعتمد المنطق فهي عقلية بحته ورائدها إبراهيم عليه السلام

"هذا أكبر، فعلها كبيرهم هذا .."
"فخذ أربعة من الطير.. وإجعل على كل جبل جزءا.."
ويكمل حديثة حامد ويستمع إليه خالد بإنصات: "نلاحظ مسار المنطق والأرقام التي تتفق ونهج القراءة الذي كان من خلاله يقرأ إبراهيم عليه السلام.

والثانية قراءة الشاكرين، كتلك التي نطالعها مع سليمان عليه السلام، فمع كل إشارة ترد إليه نجده متأملا لها ومسارعا إلى الشكر للوهاب، فتارة مع سماع حديث النملة وتارة مع عرش بلقيس لما جاء به العفريت وتارة مع بلقيس التي جعلها ومن خلال تجربة معاينة تشكر.
والثالثة قراءة الرموز، وهي ما كان من خلالها يقرأ يوسف عليه السلام ويفسر للرؤيا والأحلام.
ورابعة قراءة "مازاغ البصر وما طغى" الذي رأى من آيات ربه الكبرى، أليس هو من خصه سبحانه بالإسراء والمعراج؟ محمد (ص) العاطفي الذي كان متعبدا قبل الرسالة في غار حراء قرأ فالتزم.
وخامسة قراءة من يتطلع للتعلم فيرسل إليه الله سبحانه الخضر كي يعلمه كيف يقرأ، فتارة مع خرق السفينة وتارة مع إقامة الجدار وهكذا.. مهرجان من مسارات للقراءة جميعها يؤدي إلى حقيقة واحدة ألا وهي الله والواحد الأحد الخالق.
والشيخ يقول: ..

- خالد مقاطعا ومتسائلا: "أي شيخ؟"
- حامد: "يقول الشيخ د.محمد راتب النابلسي: هذا العلم أنواع قال اقرأ باسم ربك، يعني ما لم ينقلك العلم إلى معرفة ربك فليس علماً، العلم ما هداك إلى الله، العلم ما عرفك بهذا الإله العظيم، العلم ما حملك على طاعته، العلم ما دفعك إلى التقرب إليه، العلم ما هداك إلى سرِّ وجودك، العلم ما هداك إلى غاية وجودك، لذلك اقرأ. أما المفعول به فهو محذوف وحينما يحذف المفعول يطلق الفعل، يعني اقرأ في الكون، الكون قرآن وإقرأ في القرآن فهو كلام الخالق، وإقرأ في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فهو قرآن يمشي، يعني أطلب العلم، ما لم يطلب الإنسان العلم لا يؤكد إنسانيته، إذا أردت الدنيا

فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، إلا أن العلم له شأن آخر لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

وأكمل حامد مضيفا: "مسار القراءة: إذن أول قراءة ينبغي أن تقرأها قراءة البحث والإيمان، إبحث عن الحقيقة، إبحث عن الذي خلقك، تساءل لماذا خُلقت؟ لماذا أنا في الدنيا؟ ما العمل العظيم الذي ينبغي أن أفعله؟ ماذا بعد الموت؟ ماذا قبل الموت؟ من أين وإلى أين ولماذا؟ إبحث.

ثم يقول النابلسي: على كل إنسان أن يقرأ ليصل بقراءته إلى معرفة سرّ وجوده وغاية وجوده، أقرب آية لك نفسك التي بين جنبيك، قال تعالى:

"فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ" (سورة الأعلى)

هذا الماء الدافق ثلاثمئة مليون حوين، تحتاج البويضة إلى حوين واحد، قال تعالى: "خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8)" (سورة الطارق)

"فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)" (سورة عبس)

أمر إلهي لذلك هذه قراءة، اقرأ ولتنتهي قراءتك إلى معرفة ربك، اقرأ ولتنتهي قراءتك إلى معرفة سر وجودك وغاية وجودك.

إذا قرأت كتاباً عن العسل ذابت نفسك بهذا الشراب الذي فيه شفاء للناس، وقد لا يتاح لك أن تلعق لعقة عسل واحدة لكنك إذا عرفت الله من خلال العسل حققت الهدف من العسل أنه عرفك بالله، والذي يأكل العسل ليلاً ونهاراً ولم يفكر في هذا الشراب الذي جعل الله فيه شفاء للناس عطلت أكبر هدف من خلق هذه الآية، تأكد أن أي شيء في الأرض له وظيفتان، له مهمتان، سخر لك تسخيرين تسخير تعريف وتكريم، تماماً كما لو قدم لك صديق هاتفاً فيه خصائص مذهلة من اختراعه وقدمه هدية لك أنت دون أن تشعر ينطوي قلبك على شعورين، شعور الإعجاب بهذا الإختراع وشعور الإمتنان بأنه هدية، فدقق لما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "نظر إلى هلال قال هلال خير ورشد"

- خالد: "الله يفتح لك يا حامد يا ولد مبارك جعلك الله مبارك قول آمين"
- حامد: "آمين ويفتح لك يا خالد"
- خالد: "أنا رب العالمين بكرمه فتح لي بدون ما أطلب وقبل ما أطلب منه من قررت أجي معاك إستانبول، جية إستانبول هي الفتح، الله يبلغه أعلى عليين الفاتح، سبقنا، فتح له ربنا بالأرض"
- حامد: "فتح له ربنا في دائرة الواقع، وحقق له نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم في ما بشر به في دائرة الحقيقة، نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم في ذاك الوقت لم تكن واقعا، كانت مجرد حلم لمن سمعها في ذاك العصر، كان يراها رؤيا العين هو صلى الله عليه وسلم، كان يرى بعين الله، كان يرى الحقيقة ومن حوله كانوا متعاملون مع الواقع ومؤمنون بما يقوله لهم الرسل عليهم السلام ومصدقون، والبعض منهم أدرك بعض مفاتيح التعامل مع ما في دائرة الحقيقة فأدرك فسبق فأمن وإطمأن.

خالد: "شوي.. أمثله بوعبدالله لو تسمح"
حامد: كأن استبردنا شوي،
خالد: برودتك واقع وإلا حقيقة، أنا أحس بحر!
حامد: شكلك ضيعت، ترى هذا طريجنا"، ماسكا بيد صاحبه خالد، فاتحا يده التي كتب عليها كلمة (اقرأ).

يقطع خالد إستغراقه في قراءة الرواية إثر يد

تمتد من زميله في المقعد المجانب له ،
يقول له :كم تبلغ الساعه ؟ باللغه الفرنسيه ،
فيجيبه خالد بالفرنسيه ،
يستلطف زميله اجادته للغه الفرنسيه بالرغم من ملامحه العربيه التي بدا بها خالد ، فيبادره بالسؤال ،

الفرنسي : هل انت من مقاطعه مونتريال !
خالد: بل من تورنتو
الفرنسي : ولكن اجدك تجيد الفرنسيه بطلاقه
خالد : انا ادرس الفرنسيه ، واجيد اللغه الانجليزيه والعربيه كذلك
الفرنسي : انا من ام فرنسيه واب من اصل عربي ولكني لا اعرف العربيه ، هل تعمل في كندا ؟
خالد: بل في الكويت ، اعمل في تدريس اللغه الفرنسيه لغير الناطقين بها ، وهل انت في زياره الي الكويت ؟
الفرنسي : نعم حيث اعمل هناك ، انا في الكويت منذ احد عشر عاما
خالد : غريب ، ولم لم تتعلم العربيه ، هل تعمل في فندق مثلا ام شركه سياحيه
الفرنسي : بل موظف في السفاره الفرنسيه
يبادره الفرنسي بسؤال ، وما سبب مجيئك الي الكويت ، هل للتدريس فحسب
خالد : انا امي كويتيه ، غير انها تزوجت من عربي يحمل الجنسيه الكنديه ، فنحن ، اقصد ابنائها ، تلقينا التعليم في كندا وتخرجنا من الجامعات هناك ، ووالدتي حصلت علي وظيفه في جامعه الكويت فهي لديها دكتوراه في العلوم السياسيه وتدرس مجموعه من ابناء الدبلوماسيين الكويتيين بروتوكولات وفنون التعامل الدبلوماسي فيما بين الدول وبالاخص دول العالم العربي .
الفرنسي : رائع ، هل لي ان التقي بها عندما نستقر مجددا في الكويت
خالد : ولكنها لا تقدم دروسا للشركات او الفنادق !
الفرنسي : اذا خذا هذه البطاقه وامنحها لها ، انها بطاقتي الشخصيه ، وان كنت ترغب بزيارتي في مقر عملي فاهلا بك في اي وقت تشاء ، فلدينا شاغر بعد اسبوع ينسجم تماما مع ما تقوم به أنت من عمل
خالد : استغرب اسلوب هذا الفرنسي الفض ، الذي اعتبر نفسه اعلي مكانا من ان يذهب بنفسه لمقابله والدته في الجامعه ، فهو صاحب الحاجه لا والدته ،ثم إن والدته لم تطلب اصلا منه شيئ ، شكره خالد ووضع البطاقه في جيبه ، واستلقي مجددا حيث ، قائلا في نفسه ، هكذا هم الاجانب متعالون دائما .

يرمق اللون الازرق للسماء عبر شباك صاحبه الفرنسي ، فيجد رحابه لا منتهيه وسعه ، ٤٠٠ مسافر في الفضاء يشكلون نقطه لا اكثر في فلك يملئه السكون ، سكون تخترقه طائرتنا التي غضت مضجع ذلك السكون فأفاق ، ذلك السكون يغطي كل تلك المساحه ، يحسبها المشاهد فراغ حتي اذا شاهده لم يجده شيئا ، غير انه فلك مليئ بالسكون ، غريب هذا السكون ، ما هي ماهيته ، نعجب احيانا عندما نكون في اعالي الجبال او في غابه في منطقه نائيه ، حيث لا احد سوي انت والطبيعه من حولك ، فتسمع صوتين لا ثالث لهما ، دقات قلبك وصوت تنفسك ، كم هما مزعجين ، هذا السكون يقول لك سأسمعك ما لم تتوقع ان تسمعه من قبل ، سأسمعك صوت حركه اوراق الشجر مع اقل حركه للهواء ، بل سأسمعك سوط سقوط ورقه واحده من اوراق الشجر بسقوطها علي الارض ، ذلك ما يمنحنا اياه السكون ، ذلك السكون ملك لله وحده ، ياه هذا ايضا ساضيفه الي قائمتي ، انه اللا شيئ بل انه كل الشيئ انه السكون.

مضي من الوقت ثلاث ساعات والنصف ساعه ، لا ، لا اريد ان نصل ، كم هي قليله تلك الساعات الاثني عشر ، اه لو كانت ستقف طائرتنا ترانزيت في بلد ما قبل ان نصل الي الكويت ، نعم كل ما من حولي من جماد ان اشخاص هم مصدر الهام لي ، هم بمثابة الاصدقاء،احبهم جميعا ولا افرط باحد منهم ، فهذه الاشياء من حولي ، بلا شك تحبني لانها ارشدتني ، لانها امتثلت لما اراده الله منها ، فاوصلت رسائله سبحانه لي بكل امانه واحسان ، غريب عجيب هذا الكون المحيط بنا كيف انه متفاعل مع بعضه البعض ، غير انني لم ادرك بعد رساله زميلي الفرنسي هذا ، علي كل حال ، لا شأن لي به لعله يتلقي من الحياه ما يرشده ويعلمه دروس مثلما التقي انا الان.

يعاود الرجوع الي فصول الكستن والقيقب ، فيقرأ:

الفصل الثلث (الجسر)

أخرج خالد قطعة الجبن من الثلاجة فبانت كلمة (إقرأ) التي كُتبت على راحة يده، استقرت أخيرا على شريحة خبز وراح يتأمل يده، قائلا: "يالها من كلمة لو أدركنا معناها الصحيح"، قضم قضمة مما أعدته يده مؤكدا: "نعم لقد بدأت اليوم أفهم معنى القراءة، بات لها طعم جديد غير مسبوق، قراءة يجب أن يكون معها استثارة لحواس الإنسان، مع شيء من التأمل، وأن

تقرأ مستحضرا في كل مرة ومع كل قراءة اسم من أسماء الله الحسنى، وتلك هي المعادلة أو لنقل أن ذلك هو الجسر المفضي للفتح، هو فتح ينقلك من دائرة الواقع إلى دائرة أوسع نحو الحقيقة، ولكن تُرى ما تطبيقات هذه القراءة، ما هي تطبيقاتها؟
أم تراها مجرد معرفة وفلسفة؟
هل بالفعل يمكن أن تكون قادرة على تغيير حياتنا؟
ويستمر خالد في حديث مع نفسه متسائلا: "هل هذا ما عناه حامد لما قال (إعادة تشكيل)**!**، ولكن إعاده تشكيل ماذا؟، عقولنا أم الواقع؟
فلما خشي الضياع في غور النفس والأسئلة التي تلد المزيد من الأسئلة قال بصوت مسموع هذه المرة: "السالفة يبيلها بوعبدالله، ياالله فتحك وأنت الفتاح العليم"

مشهد لجسر عظيم يتوسط بحر البسفور الأزرق الغني،
حامد: "من هذي الناحية جلب السفن ولم يكن البيزنطيون يتصورون أن محمد الفاتح سيأتيهم من خلال البر، كيف يأتي من خلال البر وكل سفنه راسيه في البحر**!** والسلاسل التي ضربها البيزنطيون في المضيق تحول دون تقدمهم، هو فتح اجتمعت وتداخلت فيه دائرتين، دائرة الواقع مع دائرة الحقيقة، وهنا تحضرني الآيه الكريمة "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"

خالد مقاطعا: مهلا صاحبي، ومادخل الآية بالفتح هنا؟
حامد: لا ليس من تفسير للآية وإنما تأمل فقط في الإنتقال فيما بين الدائرتين، الدائرة الأولى، وما رميت إذ رميت، وهي وصف لواقع معاين ضمن دائرة الواقع، ثم، ولكن الله رمى، هو العمق الذى لا يراه إلا من فتح الله له، وهي دائرة الحقيقة، بأن رميتك الصائبة ما كانت لتصيب لولا أن أذن الله بها.

خالد: وما علاقة ذلك بمحمد الفاتح؟**!**

حامد: لاحظ، إجتهاد الفاتح ضمن دائرة الواقع وتحقق نبؤة الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن دائرة الحقيقة، تلك كانت لحظه حياة، تلك كانت لحظه تاريخية، تلك لحظه (الفتح)، الجسر الذي تم تدشينه في عهد الرسول وانقضى العمل به في عصر الخلافة العثمانية، هل لاحظت، ٦٠٠ سنة من البناء، هل تستطيع أن تصمد ستة دقائق دون أن تكلمني بكلمة واحدة لحين أن استحضر لك المثال الأول في تطبيقات معجزة (إقرأ)**!**

خالد: ستة دقائق**!**، كثير، أصمت**!** تدري شلون، أنا إذا بقعد جدامك ما راح أصبر خلني أروح اشتري كستن من هلي هناك وأجيك جود تكون جهزتلي شي، جاو**!**

حامد: والله كأني قاعد أنفخ بجربه مقضوضه بعد هالحشي كله تقول (شاو)

بدا لي أن الدم يتجمد في عروقي ، هذه المره يجب ان اتحرك ، قام فاستدار نحو اليمين فمضي الي آخر الممر المفضي الي مطبخ التحضير ، ثم عاد ادراجه نحو ما يفضي الي مقصوره القياده ، شعر اثناء مشيه بهزه في الطائره اثر مطب هوائي ، غير انه لم يعر لذلك اهتماما فهو معتاد علي مثل ذلك خلال سجل حافل بالسفر ، غير ان الذي لم يكن طبيعيا هو شعوره بدوار كما لو كانت سفينه الفضاء سفينه بحريه ، لم يكن متأكدا مما اصابه ، غير انه لم يعر لذلك الدوار بال طالما لم يستمر الا ربما لجزء من الثانيه ، تبع تلك الهزه هزه عنيفه هذه المره ما جعلته يسقط علي كرسي شاغرا ، تمسك بشده في الكرسي ، واعتذر الي من كان جالسا بالكرسي المجانب له ، لقد كانت امرءه اجنبيه مسنه ، بادرها بالقول ، هل هذا كرس محجوز ، فقالت له علي الفور ، بل هو شاغر ،
العجوز : اهلا بك ، ارجو ان لم يصبك اذا
خالد: بل ربما رضه بسيطه والحمد لله ، هل انت مسافره وحدك ؟
العجوز : نعم ، علي الدوام ذهابا وايابا

استغرب خالد من رد العجوز ، فقال ،
خالد: ذهابا وايابا من الكويت الي كندي والعكس !
العجوز : نعم ، فانا اعمل في شركه كنديه ، انا مصممه ازياء ، وقد قررت شركتنا الام ومقرها كوبيك في فتح فرع لها في الخليج فوقع الاختيار علي دوله الكويت ، وانا هنا من اجل متابعه ما يرغب به المشترون ، كي نصمم لهم ما يروق ويتفق مع ثقافتهم ، فتضيف ، كنا قد نسقنا مع السيد انتونيو والذي كما يبدو انك وثقيق العلاقه به ، فسهل لنا امور تجاريه كثيره ، ونحن ننوي ان ندعوه لافتتاح مقرنا ، كما الدعوه موجه اليك .

لم يفهم خالد شيئ مما قالته العجوز ، وادرك ان سقوطه اثر تلك الهزه اثرت في قدراته الاستيعابيه ، لم يتفوه بكلمه ، غير انه تشكر منها دعوته لافتتاح فرع الشركة ، متمنيا لها التوفيق ، وودعها طافقا الرجوع الي مقعده الذي اشتاق اليه كثيرا ، لقد اصبح مقعد D2 ،بمثابه وطنه في فضاء رحب كهذا ، وصل الي وطنه المتحرك في الفضاء الامتناهي ، اصبح مع وطنه هذا ذكريات لا تنسي واصحاب ، تلك العجوز الشمطاء يبدو انها وصلت الي مرحله الهذيان ، هكذا كان يقول في نفسه ، فما عساه ان يكون انتونيو الذي تدعي انني وثقت العلاقه به وما اظنها غير حيله تريد ان تصطاد من خلاها من تريد ان تتجاذب معه الحديث ، فالطريق ساعاته طويله ، وهؤلاء يحاولون تقضيه الاوقات بكل شيئ ، غير ان بعودته الي مقعده استقر امر الطائره ، ففكر بأمرالمشي مجددا ، ويظل السؤال الي اين أمضي هذه المره ؟ فما من طريق الي واحد فاما الي الامام واما الي الخلف ، يقف متأملا هل تكون هكذا الحياه قد اختزلت !

لم يستغرق كثيرا في القراءه ،

يلفت نظره مصباح قد اضيئ متزامنا مع صوت نغمه ، تاتي المضيفه مستفسره حيال نوع الخدمه التي يمكن ان تقدمها ، يحاول المسافر أن يشرح للمضيفه غير ان المضيفه لم تفهم شيئا مما كان يقوله ، فقد كان المسافر ينطق بالعربية وهي لا تعرف العربيه ، تدخلت علي الفور لانقاذ الموقف ، فقلت للمضيفة
خالد : هل لي ان اساعدك فانا افهم لغته ،
سعدت المضيفه بما قدمه خالد لها من عرض
خالد: يا عم هل لي ان افهم مطلبك ، قل لي ما تريد وسوف ابلغها بذلك
المسافر وهو كما يبدو من لباسه للعقال والثوب العربي في السبعين : كنت اطلب منها وجبه من غير زيت ولا اي نوع من انواع الدهون
خالد: ابلغها بمطلبه ، فاستغربت الطلب ،
المضيفه : يوجد لدينا فقط ثلاث انواع من الوجبات ، منها الفجتيريين ، ومنها الكوشر ، يمكنه ان يختار منها واحده
خالد: يا عم لا يوجد غير الفجتيريان والكوشر فماذا تختار !
المسافر : ولكن كيف ساقضي خمس ساعات قادمه دون اكل !
خالد: طال عمرك ، وجباتهم حتي لو فيها دهون فهي قليله ولن تؤثر باذن الله بصحتك ، والطبيب عندما يوصيك بالابتعاد عن اكل الطعام المشبع بالدهون ، فهو يقصد هنا المداومه علي ذلك وانت الان في سفر ووجبه واحده لن تضر
توجم وجه المسافر و غضب من اجابه خالد ، ولم تفهم المضيفه سببا لذلك الغضب ، فقالت لخالد ، هل من خدمه اخري !
شعر خالد هنا بانه في موقف حرج ، وكانه اصبح هو المسؤل عن ما لا يجري تحقيقه لهذا المسافر ، لم يعلم بم يجيب المضيفه ، فقرر ان يقول لها
خالد: نعم سنستدعيك فور بروز حاجه اخري
عجب خالد من مطلب هذا الرجل كبير السن ، وازداد عجبه عندما رأي وشما علي يده لم يفهم مغزاه ، فاعتذر للمسافر وقال له ان احتجت الي فانا في المقعد رقم D2
من بعيد ، يلاحظ خالد من يلوح بيده طالبا اياه ، يقول في نفسه هذه والله العجوز الكنديه ، ما اظن انها تضمر خيرا ، ما عساها ان تريد هذه المره ، قرر ان يذهب اليها ، وفي طريقه اليها ، ما بين صراخ طفل رضيع واصوات تتعالي لثلاث شبان يلعبون الورق ، تذكر علي الفور ......

وصل اليها غير انها لم تكن في مقعدها التي كانت تلوح له من بعيد ، عجبا اين ذهبت تلك العجوز ، فاشارت اليه ، فاذا بها تضع علي راسها غطاء ، استغرب امرها ، فبادرته بالسؤال ، هل هكذا هي قبلتكم !
خالد : ماذا ! هل تريدين الصلاه ؟

العجوز : نعم فانا مسلمه ، واريد ان اصلي ، لذا ذهبت فتوضئت ولبست ثوب الصلاه كي اصلي اعتقد دخل وقت صلاه المغرب الان ، فنحن ماعدنا نري الشمس !
لم يصدق خالد ما يسمع او ما يري ، هي مسلمه اذا ! جائه الدوار مجددا ، غير انه تمالك نفسه وحياها بتحيه الاسلام ، واسدي اليها النصح ، وغادر ، وفي طريق عودته يسأل نفسه ولكن من يكون انتونيو هذا ، هل هي تشكو مثلا من انفصام في الشخصيه او مرض الازهايمر ، نعم كثيرون من كبار السن بدؤو يشكون من ذلك ، لا علينا ، المهم ان عجوزنا مصممه الازياء تلك لقنتني درسا لن انساه ، وهو ان لا نحكم علي الظاهر ، ساضع اسم تلك العجوز في قائمتي ايضا ، ويبقي السؤال هل سأضع اسم انتونيو ايضا ضمن القائمه ، وهل انا اصلا اعرف شخصا بهذا الاسم او مر في حياتي من كان اسمه انتونيو !
لا والله لا اعرفه لا من قريب ولا من بعيد ، كما انني في السماء وهو ، لا يعلم في اي ارض يكون ، وصل الي مقعده مجددا وقال سألتزمه هذه المره

وفتح روايته ، فاذا به يصل الي الفصل الذي جاء عنوانه ، ما جعله شغفه يتطلع لمعرفة سبب تسمية القصة بهذا الاسم ، فقرأ:

الفصل الرابع (كستن)

الكستن الساخن الطازج بيد خالد يحمله قائلا: لنُفعل حاسة المذاق الآن ونأكل.
حامد: وحاسة الشم كذلك، لنتعرف على الخالق من خلال ما خلق عبر حاستي اللسان والشم.
خالد: يالله كم هي لذيذة!
حامد: بل يا الله كم هو جميل بديع ودوود محب لعباده، يطعمهم ويسقيهم حتى وإن جحدوا به وكفروا، كم هو صبور وحليم عليهم.
خالد: معقول!
حامد: ألم يرسل موسى عليه السلام لفرعون الذي إدعى ليس النبوة وإنما الألوهية! ثم قال سبحانه: "وقولا له قولا لينا" هل لاحظت، "لينا"، ماذا تسمي هذا؟ كل وتعرف على خالقك.
خالد: يفتح الكستنه يعاينها بين أصابعه قائل: إنها لينه!
حامد: بصوت مرتفع : الهم ألن لي عقله! جاهز للمثال الأول؟
يمسك خالد برأسه من الجانبين مؤكدا له إستعداده التام، يخرج حامد من جيبه زجاجة صغيرة فيها شيء من الطيب ثم يطلب من خالد قائلا: عندك ١٠٠ ليره؟
خالد: مئة ليش؟ قول عشر ليرات مثلا!
حامد: لا أبي مئة شلون؟
خالد: الله يعيني هذا إحنا بعدنا ما بدينا بالمثال الأول شكلك بتذلني وتاخذ على كل مثال ١٠٠ ليرة، يعني في النهايه احنا قاعدين انتكلم عن جم ألف، ألفين، لا والله يمكن بيخليني حافي"، أطرق يتمتم بكلمات: "يسويها بوعبدالله، هذا يومك وهذي لحظه حياه لك.. آخ منك"، متمتما مخرجا من محفظته ١٠٠ ليرة معطيا إياها حامد أخيرا بعد أن قائل له: "خذ"

حامد: خلها بيدك"، قام حامد بدهن ورقة المئة بالطيب،
خالد: شلون الحين تبيني أشمها؟
حامد: لحظة يا صاحبي: "الآن إذا مر بك فقير مسكين يتضور جوعا ويسألك سعيا في حاجته وأنت تحمل معك مجموعة من بعض الأوراق النقدية من فئة المئة وقررت أن تساعده فتمنحه المئة أي مئة ستختار؟ المئة المطيبة أم تلك غير المطيبة؟"

خالد: والله المطيبة عزيزة على قلبي لأن فيها طيب منك، راح أعطيه الغير المطيبه طبعا.
حامد: مشكور على الإطراء، خلني أقولك أمنا عائشة رضي الله عنها شنهو كانت تسوي، كانت لما تعطي الفقير نقودا تطيبها قبل أن تضعها في يده وتقول أنها ستقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير، هذا تطبيق عملي في التعامل مع دائرة الحقيقة من خلال دائرة الواقع. وهذا هو المثال الأول.

خالد: هذا قووول قوي من أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، وسهل كلنا نقدر نقوم فيه موبحاجه لا لتصورات ولا فلسفة، مجرد تطبيق مباشر.

حامد: سهل، بس الصعوبة في تحويل المفهوم إلى سلوك وهذا ما قامت به رضي الله عنها هل يمكنك أن تفكر بشيء سهل مماثل؟

في بهو الفندق يحدث خالد نفسه متسائلا: "ما عسى أن يكون التطبيق المماثل لما قامت به سيدتنا أم المؤمنين؟ هل المشي في حاجة الناس؟ نعم هو كذلك إذا كان مرهون بالنية ولكن أين دائرة الواقع هنا ودائرة الحقيقة؟ هل هو بصلة الأرحام؟ حيث مع صلة الرحم أنا في الواقع أمارس زيارة والدي وأقبل يديهما ولكن في الحقيقة أنا أصل رب العالمين، فالله في الحديث القدسي يقول بما معناه "ومن قطعني قطعته" وفي زيارة المريض قرب من الله، حيث نجد الله عنده، فأنا موجود بجسدي عند المريض وهذا هو الواقع، غير أني بحضرته سبحانه وهذه هي الحقيقة، إذن فهي فرصة لأن أدعو الله في حضره المريض لأني بذلك سأكون أقرب ما أكون إلى الله، ياااااااه، يا له من تمرين يسير وتطبيق ممتع، نعلوا بأنفسنا بذلك ونرتقي وهو مجرد إعادة تشكيل لما هو في العقل من مدركات، فزيارة المريض تعني شد الرحال لزيارة الله، وصلتي لرحمي وصل مع الله لا ينقطع.

مشهد: حبل ممدود بشدة وشمعة مشتعلة في أسفله فإذا بالحبل ينقطع،

حامد مخاطبا صاحبه: لاحظت يا خالد، لا تقطع رحمك وصله كي يصلك الله، تطبيقاتك كانت موفقة، وانتقالاتك من دائرة الواقع إلى دائرة الحقيقة كانت مقنعة الآن هذا الحبل الذي قطع يذكرني بالممر الذي ضربه الله في البحر، فإذا به يقطع، فإذا بالموج كالفج العميق يطبق على فرعون وجنوده، هل تعرف كيف كان الموقف قبل أن يطبق البحر على فرعون وجنوده

خالد: كيف؟
حامد: لما وصل موسى عليه السلام وقومه إلى البحر، لم يكن يتصور قومه أنهم ناجون ففرعون وجنوده من ورائهم والبحر من أمامهم فأين يذهبون؟ قالوا: "إنا لمدركون" وهم بذلك يكونون منطقيون تماما لأنهم كانوا يعيشون الواقع، غير أن موسى عليه السلام كان يعيش في تلك اللحظه العصيبة الحقيقة، فقال: "كلا إن معي ربي سيهدين" قالها بيقين تام قبل أن يكن عارفا بأن الله سينصره بشق البحر وهذا هو مثال آخر في نموذج تطبيقي في الإنتقال من دائرة الواقع إلى دائرة الحقيقة.

خالد مقاطعا: أي بس هذا نبي، احنا الحين ما يمكن رب العالمين يمكنا مما مكن فيه سيدنا موسي عليه السلام!
حامد: اهني أنت محتاج عدة بس من نوع ثاني.
خالد: عدة! شتقصد سباين ودرنفيسات ومسامير مثلا!
حامد: بالضبط، يا كرهك لما اتنكت، تعال يا صاحب السباين والي ما تعرف (العدة) إلا من خلال الدرنفيسات، أعلمك اشلون نفتح البراغي،
خالد: براغي؟!
حامد: نعم براغي عقلك، رب العالمين قبل ما يكلف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان يجهز كل نبي من أنبيائه بمجموعة من المعجزات، هذا عيسي عليه السلام منحه معجزة إحياء الموتى، وهذا موسى عليه السلام منحه معجزة العصا المزودة بقدرات ساحرة مع قوم كانوا مؤمنون بالسحر، وهذا سليمان منحه وعلمه منطق الطير والنمل وذلل له الريح والجن، وتلك كانت "العدة" التي زود الله بها أنبيائه عليهم السلام، فقد كانت عقول تلك الأقوام لا تؤمن إلا بالمحسوسات، فإذا عاينوا المعجزة آمنوا وإلا فهم منكرون، جاء الإسلام ولم يمنح سبحانه ما يبهر العقول بمعجزات قابلة للمعاينه عبر حواس الإنسان، فلم يجهز الرسول بعصا كعصا موسى ولم يكن قادرا على إحياء الموتى، تلك عدة المعجزات التي يمكن معاينتها بالحواس تم استبدالها بمعجزة أو لنقل بعدة من نوع آخر، يمكن إدراكها بما هو أوقع من الحواس، وهو العقل، وهني نكون قد ارتقينا وانتقلنا من دائرة المحسوسات إلى دائرة اللا محسوس، من دائرة ما يمكن معاينتة بالعين إلى دائرة يمكن معاينتها بالعقل والقلب، لذا يقول سبحانه، إلا من أتي الله بقلب سليم، ما معنى السليم هنا؟ وما صفات سلامة القلب؟، وهل القلب قادر على المعاينة والنظر؟، بالطبع نعم، ألم يقل سبحانه: "إنها لا تعمي الأبصار وإنما تعمي القلوب التي في الصدور"، فنحن هنا أمام حواس ولكن من نوع آخر، حواس، "فإذا أحببته كنت بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به.." الحديث، وهي درجة رفيعة من الحواس، درجة يرتقي فيها إدراك الإنسان، فلا يتعامل مع ما هو محيط به من محسوسات ضمن دائرة الواقع وإنما يتسع تعامله ليضم دائرة أوسع هي دائرة الحقيقة، وتلك هي (الإداة، أو العدة) إن أحببت أن نسميها، فمكونات العدة كانت في (القرآن) الذي زود الله به محمد صلى الله عليه وسلم حيث يدرك عبر (العقل والقلب) معا.

رد عليه خالد بإعجاب وشغف: واااو، ولكن أين موقع الحواس هنا هل نلغيها؟ وما درجة الإيمان بما تنقله لنا حواسنا من صور ومشاهد؟

حامد: كأنه يعنا، خل انفعل حواسنا وناكل شي يا خوك يعنا.
خالد: اتعلمني نرتقي بالعقل والقلب وأشوفك الحين بتفعل حواسك! هذا دليل واضح أن الي وصلتله مو أكثر من أن يكون مجرد تنظير والا شان ألغيت حواسك واعتمدت على ما هو أرقي من خلال العقل والقلب!
حامد: أقول بلى لغوه، شوفلنا شي ناكله وبعد الأكل شبلي الشمعه، يالله بدون تعليق، يا كثر أسئلتك ويا كثر لغوتك، يسأل صاحبه: "خلصني شبتبيب لي؟ لي خاطر بحلوم وزعتر".

إبتسم خالد بل حاول ان يكتم أنفاسه اثر حالة الضحك التي إنتابته ،

وحيث ان مكيف الهواء الذي يعلو راس خالد ينفث هواءا باردا فلم يتمالك خالد نفسه فعطس عطسه فكتم انفاسه مباشره ومد يده في جيبه باحثا عن منديل فاذا بيده تلتقط منديلا وبطاقه وضعهما معا علي انفه علي الفور ، فاذا به يقرا من علي البطاقة اسم انتونيو ! ، وقف موجوما ، قربه الي عينه ، هل انا بحلم ام علم ، من عسي ان يكون انتونيو هذا ! ، هذه العجوز يبدو انها اصابتني بعين ، ومن شر حاسد اذا حسد ، ها ! انها لشخص يعمل في السفاره الفرنسيه في الكويت ، يا الله تذكرت ، انها لزميلي المسافر الذي يجلس عن يميني ، يا الله للمفاجئه انه السفير الفرنسي في الكويت ! كيف لي ان افتح معه حوارا الان ؟ وهل ساكون مستقرا في احوالي النفسيه بعد هذه المفاجئه ، يا الله كم انا احمق ، كيف اسئت الظن باختنا العجوز ! وكيف وصفت أنا السفير الفرنسي بالتعالي ! هكذا درس من بعد درس من بعد درس ونحن مازلنا في الهواء لم تحط الطائره بنا بعد علي الارض ، تربيه ربانيه ، شارك في تربيتي فيها حتي العطسه ، فلولاها ما عرفت انتونيو هذا ، وما عرفت طهاره ونقاء عجوزنا تلك ، كم انا سعيد يا ربي بمن خلقت ، كم انا فخور بربوبيتك ، ياله من عجول هذا الانسان ،
خالد : لا لن افتح حوارا مع انتونيو مجددا ، بل في ساعه الوصول سابلغه بانني سازوره انا ووالدتي في مقر سفارته .

اما عجوزنا ذات الاتيكيت الكندي ، فسوف احضر انا واخواتي لحفل تدشين محلها ، وادعوا والدتي واخواتي لتوثيق علاقتهم بها لعل تصاميمها تكون اكثر حشمه ، واما العم الذي لم يلبي مطلبه ، فهو من لم اجد لقضيته حل ، وان كنت غير معني بها ، غير انني متعاطف معه ، لم لا اذهب اليه اتفقد حاجته مجددا لعلي اتمكن هذه المره من مساعدته ؟
خالد: العم العزيز هل اطلب من المظيفه ان تصنع لك الشاي ،
العم: لا باس فالشاي في ديني لا يشتمل علي زيت
خالد: في نفسه ، في ديني ! ، غريب وما هو دينه ؟
خالد وبعد ان ارتفع به معدل الفضول : العم العزيز وماذا غير الشاي يصلح ان تاكل او تشرب ، فقال العم : لا باس من العرق علي ان لا يكون كثيرا ، فالمسيح في انجيل برنابه .... هنا انقطعت حاسه سمع خالد عن الاستقبال بينما كان العم يتكلم ، فشده الصدمه جعلته مستعرضا عدد الدروس التي تلقاها في اقل من خمس ساعات ، فقد كان يتصور ان العم مسلم وظهر انه مسيحي ، ومن حماقه خالد انه كان ينصحه بالالكل ، ففهم سر وجوم وجه العم عندما لم يكن في الطائره وهو صائم وفق طقوسهم حيث لا تأكل تلك الطائفة المسيحية اي طعام يشتمل علي الزيت في شهر صيامهم ، ففتح قائمته مجددا وأضاف اليها كلمة " الزيت "
وهو يفتح الورقه كي يدرج فيها صاحب جديد ، يسقط من يده القلم ، فيعمد لالتقاطه من علي الارض ، غير أن القلم كما يبدو أضحي مختبأ تحت كرسي شخص الي الوراء وربما شخصين ، حاول خالد أن يعاين السبيل الذي ذهب اليه القلم ، فقلمه هذا عزيز علي قلبة وهناك أكثر من سبب لهذه المعزة ، ففي سرعة البرق إستحضر خالد تلك الاسباب بشكل تلقائي لا إرادي ، فكان ما إستعرضه في مخيلته مشهدان ،
المشهد الاول :
المشهد الثاني : أن هذا القلم ساهم في عملية إدراج قائمة من الاصحاب في ورقته ، فكما إن الورقه بما حوته من أسماء تعتبر هامة ، فالقلم أصبح له ذات الموقع من الاهمية والمعزة في قلبة .
غير أن معزة القلم زادت عندما رأى أنه إستقر تحت مقعد مسافر معاق مقعد يكاد أن يكون عاجزا عن الحركة ، إنحرج خالد هنا من الموقف ، فهل يعمد الي التقاط القلم من أسفل مقعد هذا المقعد ، أليس يحسن أن أطلب منه الاذن ! ، ولكن هل سيتمكن من الرد علي ! أسئلة عديده بادرته في موقف محرج ، فقرر النزول مع إيمائة من الاعتذار ، وبعد التقاط القلم ، أظهره للشخص المقعد ليبين له سبب ما قام به من سلوك ، بادر مرافق الشخص المقعد بالتعليق وهو كما يبدو في الثلاثين من العمر محاورا خالد ، إذ قال ،
إنه أخي ، وأنا أقوم علي رعايته منذ الحادث الاليم الذي أصابه

خالد : وما نوع الحادث ؟
مرافق المقعد : بترت ساقه اليمني وإثر هذا البتر سقط لانزلاق عكازته من علو لم يحتاط له فأعيق إعاقة شبه كاملة .
خالد : سبحان الله
مرافق المقعد : ولكن الله رحيم لطيف إذا إنتشله مما كان فيه من رفقة فاسدة وعمل لا يرضي الله ، فعاد بعد بتر رجله إثر حادث السيارة الي الصلاة ، غير أن أمره لم يستقر طويلا فعاد مجددا نحو ممارساته السابقة ، وأظنه الآن قد تاب توبة لا رجعة فيها ، فهو الآن هو من يذكرني بأوقات الصلاه
خالد : كيف يذكرك وهو لا يقوى علي الكلام !
مرافق المقعد : عندما يرفع إصبع السبابة لي ، أعرف أنه يذكرني بذلك كي أجلب له ما يتيمم به استعدادا للصلاة .
خالد: تذكرت علي الفور الآية القرآنية " ما يريد الله بعذابكم إن شكرتم "
دعا هنا خالد للمقعد ولاخيه ، وطفق راجعا الي كرسيه ، متأملا بصبر نبينا أيوب عليه السلام علي بلائه في المرض الذي أقعده ، فبرز سؤال في ذهنه ، ما الذنب الذي إقترفه نبينا أيوب كي يصاب بمرض كهذا ؟

جلس علي مقعده وتأمل ، فإذا به يتذكر ما أصابه قبل مغادرته دولة الكويت الي تركيا ، والحادث الثاني الذي تعرض اليه عندما بادر في حجز فندق في رحلة سابقة الي أسبانيا ، ففي الحادث الاول ، وهو يتذكر الحوار الذي دار بينه وبين خاله حامد
خالد: لاأعلم إن كان سيقوى الخال علي السفر معي الي تركيا ، فهو يعاني من مرض السكر كما إنه يعاني من ضعف في أوردة القلب ، لقد كنت قلقا تجاه صحته ولم أكن قلقا حيال ذاتي ، فأنا أنعم بالصحة والقوة وقد خططت للرحلة ماديا بشكل مسبق بما يجنبني المطبات أو العوز ، وقبل يوم من رحلة المغادرة الي اسطانبول ، يحدث أنني وإثر سماع أذان الظهر دخلت الي المسجد لاداء فرض الصلاة ، فإذا بقدمي تتعثر إثر سجادة لم تكن قد طويت بشكل مناسب حيث كانت تعلوها درجة لم الحظها ، فأصطدمت قدمي اليمني بالدرج ما جعلني أشعر بأن أصبعي الاوسط قد إنكسر ومن فرط الالم ، لم أكن قادرا علي الحراك ، ما جعلني أراجع الطبيب للتعرف علي حجم الاصابة وما إن كانت ستحول دون قيامي برحلتي الي إسطانبول ، أذكر أنني جلست طوال تلك الليله واليوم التالي كالمقعد كلما زاد الالم الذي كان يأتي في هيئة تموجات ، ما الذي أكون قد إقترفته من ذنب كي اصاب بلكمة كهذه ، فمما لا شك فيه أن ثمة رسالة ما موجهة الي من الله سبحانة ، والا فما يريد الله بعذابكم ان شكرتم ، بالرغم من انني كنت في حضرته سبحانة بل كنت قبل كل المصلين في المسجد ، تأملت كثيرا ولم أجد تفسيرا ولا ما يمنحني بصيص فهم عما تم ، وهاهو خالي حامد يسافر ولم تصبة أزمة وأنا الصاحي أصبحت سفرتي مهددة إثر لكمة في صبعي الاصغر .
أما الحادث الثاني فهو محاولتي لالغاء حجز لفندق كنت قد أجريته عبر الانترنت في سفرة كانت لي الي اسبانيا ، وبعد أن علمت بالمكان الذي سيقيم فيه صديق لي ، حاولت الغاء الحجز غير أن الموقع من علي الانترنت لم يكن يعمل بصورة سليمة ، وان عدم الغاء الحجز سيعرضني لدفع كامل المبلغ للفندق اضافة الي مبلغ مماثل في الفندق القريب من مكان اقامة الصديق ، وهو ما حدث بالفعل ، اذ حاولت بعد أن وصلت الي المدينة الاسبانيه وذهبت الي الفندق الاول ، تعذر لي صاحب الفندق من ان الحجز لم يتم من خلال الفندق مباشرة كي يلغيه بل تم عبر موقع عام للفنادق ، فالالغاء يجب ان يتم عبر الموقع وليس عبر الفندق ! وهو ما جعلني في ذاك اليوم مكتئبا ، ولم أعرف سببا يعرضني لمثل تلك الخسارة .

يعود خالد مجددا الي ورقته ليدرج صاحب جديد ، فكان هذا الصاحب هو "القلم" الذي كان يكتب به.
إهتز القلم الذي كان يكتب به خالد إثر مطب هوائي آخر ، فعلم خالد أن القلم يحيه علي أنه أدرج ضمن قائمة الاصحاب.
عاود خالد الي روايته متصفحا فاذا به يقرأ :

الفصل الخامس (الشمعه)

تسائل حامد وهو ينظر إلى لهب الشمعه وهو يتراقص بخفه: إتهقي حاره؟
خالد: طبيعي حاره إذا حطيت ايدك عليها
حامد: حط ايدك على الشمس، حاره؟
خالد: طبعا لا
حامد: ايهو أشد حرارة لهب الشمس اللي إهي أكبر والا لهب الشمعه أللي هي أصغر؟
خالد: لهب الشمعه
حامد: شفت شلون ما نقدر نعتمد على حاسة اللمس ولا حاسة البصر في الحكم على الأشياء من حولنا
خالد: ولكن هل هذا يعني أن نلغي الإعتماد على حواسنا في إدراك الحقائق من حولنا؟
حامد: طبعا لا
خالد مقاطعا: يعني تبيني أعتمدهم وما أعتمدهم في نفس الوقت!
حامد: هذا صحيح، والحين يوود هالليره، ممكن تغطي فيها الشمس!
خالد محاولا: نعم استطعت وببساطه
حامد: هل هذا يعني أن هذه الليره كبر أو أكبر من الشمس؟
خالد: طبعا لا، أكيد الشمس أكبر
حامد: شفت شلون حواسنا تعطينا معلومات مضلله لا يمكن الإعتماد عليها؟
خالد: وبعدين يعني شنهو نلغيها؟
حامد يتفحص ما بيده من طعام: عندك مخلل؟ أقول شنه مو حاط زعتر وايد الله يهديه حاطلنا زعتر على الريحه صاحبك.
خالد هامسا: خل يعتمد على حواس عقله وقلبه شود يستطعم الزعتر بشكل أحسن!
حامد: يووز يا خالد يوووز لا تخليني أتحسف، أهووو،، وين البصل.

***

يتلذذ خالد في لعق البوظة التي بيده وهو في شرفة الغرفة في الفندق أنهى أكلها أخيرا مستطعما مذاق ما تبقى من أثر على عود خشبي، يعاين طول شجرة بعيدة أمامه مغمضا أحدى عينه بطول العود، متسائلا: "أيهما أكبر العود الذي بيدي أم الشجرة"، ثم يعمد إلى عمارة ويسأل ذات السؤال مرددا يظل السؤال: "إلى أي حد أستطيع أن أثق في حواسي، هل ما أراه واقع أم حقيقة أم مضلل لا يمكن الإعتماد عليه؟"، فيلقي ما بيده في حيرة قائلا: "الله يهديك يا بوعبدالله كنت مرتاح قبل ما أرافجك، شلي امخليني أكمل مشواري معاك ما أدري"، سكت لحظة ثم أجاب نفسه: "هي شخصيته، اطباعه، طريقة تفكيره، روحه الرحبه، صبره علي، والأ كل هذا وذاك، يالله عليك ولا علي غيرك"، يرن هاتف الغرفة، فيجيب خالد: "لا بعدي ما نمت، أنت شلونك بعد الزعتر والحلوم؟ والله أنا بخير وعافية إذا أنت مرتاح.

حامد: أنا راز نفسي جدام شاشه الكمبيوتر وأبحث في رد مقنع على سؤالك عن سقوط الإمبراطورية العثمانية ، بس عطني أسبوع وبحيل الله يكون عندي الجواب،

خالد: الا قولي أوصلو الأهل؟ بكون معاك إذا حبيت أساعدك باشر في المطار، توكل على الله اتصل فيك أول ما أأجر سيارة وراح تكون سيارة سعيه ما تحاتي، حبيبي نومه العافية، تصبح على خير"

طرق خالد محدثا نفسه: أفهم من سالفة العود وسالفة الشمس إن أي تصرف يقوم فيه أي بني آدم حتى لو ما كان يعجبني من الممكن يكون صائب مو شرط يكون خاطئ لأكثر من إعتبار، الإعتبار الأول: له علاقة بقدرات حواسي في الإلتقاط اللي قد ما تكون إلتقطت بشكل صحيح، والإعتبار الثاني: له علاقة بالظرف اللي يمر فيه صاحب هذا السلوك، والإعتبار الثالث: له علاقة بنيه هذا الشخص، فللنيه دور في الحكم على صواب الأعمال من عدمها، يا الله شلون احنا قاسيين على البشر وشلون احنا ظالمين لأنفسنا، يالله اغفرلنـــا.

لم يشأ خالد أن يقطع لذه قراءته للرواية ...

فصل (ساب واي)

صوت محركات القطار في النفق غطى على صوتهما ما جعل الحوار يبدو صراخا أو أنه كان بالفعل كذلك
قال حامد بإستياء وشيء من الغضب: سعيه ها! والله انا أمس لما سمعتك داك الصدر قلت هذا حشي الريايل، انا معتمد على صقر، ماهقيتك بتوهقني ويايني ابساب واي او اللي يسمونه هني موتور واي ، بالله قولي شلون باخذ هلي الحين، شلون ندخل الجناط؟ وين أقعدهم إذا الكل بيوقف وما في مكان؟

أجابه خالد مقاطعا: مو أنت معلمني أن اللي قط الزبالة من السيارة كان تصرفه صحيح! اعتبرني صاحب السيارة!
حامد: أي بس أنت مو مضطر أو ماعندك حريجة
خالد: ومن قالك راح نرد بالساب واي! أصلا أنا حجزتلك السيارة بس مو من البيت، حجزتها لك من المطار حتى نرد فيها البيت.
حامد بإستغراب: صج والله! أنا قلت هذا بوليد اللي ما يخذلني.
خالد: شفت شلون تسرعت وحكمت علي بالإعدام، بس قولي بوعبدالله أنت ليش جيت معاي ورضيت تركب الساب واي دام كنت حيل شذي منزعج؟
حامد: حبي لك غطي على مشاعر الغضب، خليتني أعيش نوعين متناقضين من المشاعر مشاعر الحب الممزوجة بمشاعر الغضب ففاز الحب فكتم أنفاس الغضب.
يحدث خالد نفسه مبتسما: وهذا اللي يشدني لك، حلمك وروحك النقية الصادقة.

يد طفل تلعب بأزرار مذياع السيارة، في بحث سريع عبر المحطات الإذاعية ما بين لغات مختلفة؛ التركية والإنجليزية والفرنسية.

يعلق خالد: هذا اولدك بوعبد الله مادري شيدور عليه؟" وهو يقود السيارة بعد أن استقبلوا أهل حامد بالتو متجهين نحو الشقة، يردد: "ولا كلمة عربيه! يا جماعة شدو حيلكم سمعونا عربي" فإذا به يسمع صوت الآذان مرتفعا من المذياع، قائلا: "خلاص وصلنا، مانحتاج ولا محطة عربية دام هالآذان نسمعه اهني".

حامد: الآذان احنا في عالمنا العربي تعودنا نسمعه خمس مرات في اليوم وألفناه مانفتقده هناك، المشكلة لما نألف الشيء، لاحظ ابراهيم عليه السلام شلون كسر موضوع الألفة، لاحظ الآية، "فلما رأى القمر بازغا"، السؤال: هو كان يراه كل يوم، غير أنه قرر أن يكسر هذه الألفة ليراه ويقرأ مجددا ما في صفحة هذا الكون، نحن بحاجة إلى عدسة مماثلة لعدسة إبراهيم عليه السلام في الإلتقاط، والإلتقاط هذا لا يتم إلا من خلال التأمل والوقوف أمام الرسائل المبثوثة من حولنا، ثمت رسائل منظورة وثمت رسائل مسموعة وثمت رسائل موجهه تجاه كل حاسة من حواس الإنسان، تلك أدوات الإلتقاط عند الإنسان بحاجة إلى صيانة وتعهد بشكل يومي ومستمر كي نحد من مشكلة الألفة، هل لاحظت كيف التقطت حاسة السمع لديك الآذان وكأنك تسمعه للمرة الأولى، تسمعه بشوق ممزوج بمشاعر الحنين ومشاعر رغبة التقرب إلى الله بالصلاة، هل ذات الشعور يخالجك وأنت في الكويت أو في الإمارات، هلا سألت نفسك ما الذي تغير؟ تلك هي الحواس، وذلك هو مرض الألفة الذي عنيته.

خالد: فالألفة إذن هي أحد معوقات الإدراك، الآن فهمت ليش تجتهد الماركات التجارية العالمية في تغيير رسائلها الإعلانية بين حين وحين بالرغم من أن مواصفات السلعة تظل وحده ولا تتغير، فطعم الكوكاكولا لم يتغير منذ ٢٤ عام.
حامد مصححا: تقصد منذ ١٠٠ عام،
خالد: مادريت أن عمرك مئة بو عبدالله.

ويظل مسترسلا، في تركيز بالنظر للإعلان؛ اللون الأحمر وعلى الكلمات بعينها في مثل (استمتع، المذاق الأصيل)

حامد: برمجة للدماغ حيال لون واحد وكلمات محددة مؤثرين على حاستي البصر والسمع، ناهيك عن حاسة المذاق وملمس قنينة الكولا التي أخذت شكلا لم يتغير بالرغم من تغير الأزمان، فهي عملية ممنهجه يتم من خلالها التأثير على الحواس، ومع التأثير على الحواس يتم تشكيل المدركات فيتشكل المعتقد فيؤثر بالسلوك"، ينظر في الطريق ولافتات الشوارع فيقول: "شكلنا وصلنا"

خالد: أم عبدالله انتي صعدي مع بوعبدالله لا تحاتين أنا أقوم باللازم.

فصل (كلمات متقاطعة)

يحاول ابن حامد حل الكلمات المتقاطعة أشغلته تلك المجلة محاولات لإدراج الحرف المناسب

إبن حامد يسأل أباه: يوبه كلمة مكونه من أربع أحرف معناها ثعبان، ومع إضافة حرف اللام تعطي معنى الجمع.

حامد: هذا نوع من الالعاب الذي يعين على تقليب الأحرف والكلمات مع البحث في مخزون ما نحمل من معلومات، لنقل على السبيل، حيه!

الابن: اختيار لا يصلح لأن حيه مكونه من ثلاث أحرف، ماذا عن أفعى؟ ومع إضافه حرف اللام تصبح الكلمة أفعال وهي بالفعل تحمل معنى الجمع!

حامد: كفو والله بولدي، والله هذا خوش تمرين لو بس نقدر انطوره حتى يساعدنا في تعاملنا مع الناس من حولنا.

الابن: شلون؟ شتقصد يساعدنا، هذي مجرد كلمات متقاطعة!

حامد: يعني أبيك تصور ان شخص ما أمامنا آنا معاك شفناه يسلك سلوك نعتقد بأنه سلوك خاطئ، هل من خلال تمرين مشابه لتمرين الكلمات المتقاطعة ان نستعرض مجموعة من المبررات حيال احتمالية خطأ ما كنا نحمله من معتقد تجاه التصرف الذي قام به؟

الابن: كيف يوبه؟

حامد: نقول مثلا، كلمة تفيد بما يشكل مبرر لما قام به من فعل، فتكون الكلمة مثلا (مرض)، وهنا نكتب الكلمة في المربعات ضمن شبكة الكلمات المتقاطعة، ثم ننطلق من كل حرف لاستكشاف باقي سواء المبررات أو ما خفي عنا ما جعله يسلك مثل هذا السلوك، فتكون الكلمة التالية، والتي يجب أن تتضمن حرف، الميم، فنسأل مثلا، كلمة تعزز حسن نيه، فيكون الجواب ضمن ما يلي من بدائل الكلمـــــــات، (مساعدة، مساهمة، مناصرة)، ثم نأتي إلى الحرف الثاني من الكلمة وهو حرف (الراء)، فيكون السؤال ما الذي أعاق رؤيتي فجعلني أرَ الصواب خطأ، فقد يكون الجواب في كلمة، (رأسي) أي ألم في رأسي أثناء مطالعة تصرف ذاك الشخص فجعل قدراتي على الاستيعاب يشوبها النقص والخلل، وهكذا..

الابن: وما فائدة هذا التمرين؟ يبدو لي انها لعبة مسليه بشكل أكثر وهي تغلب حسن الظن بالآخرين وبما يقومون به من أفعال.

حامد: هذا صحيح يا سعد، وأريدك اليوم أن تتجهز كي تلعب مع عمك خالد نفس اللعبة ولا تقول له ان من علمك اياها والدك واجعل ذلك سر بيننا.

الابن: أوكي يوبه

حامد: وما رأيك أن نطلق على اللعبة إسم خاص بها!

سعد: فكرة رائعة، ليكن الاسم لعبة الكلمات المتقاطعة رقم اثنان.

حامد: محاولة جميلة ولكن ما رأيك باسم لعبة، (إدراك السعد)، فالمتلاعبان هنا يركزان دوما على البحث عما يعزز حسن الظن وإعاده النظر.

سعد متمتما: يعني اذا ١٥٠٠ حبه ضرب خمس دنانير تساوي ٧٥٠٠ دينار، ضرب خمس دول يساوي ٣٧،٥٠٠ دينار.

ينظر حامد إلى ابنه وعلامات التعجب على وجهه يقاطعه، قائلا: شسالفه عسى ما شر؟

يغلق سعد الآله الحاسبة فيقول: يوبه خلاص انا ضمنت مستقبلي.

باستغراب يجيبه: شلون؟ هل كيف ياسعد؟

سعد: اعتبر لعبة إدراك السعد في حكم الاعتماد طال عمرك.

لفت انتباه سعد محل لبيع ألعاب الأطفال فاتجه نحوه في أحدى المجمعات التجارية بمرافقة خالد وأبيه حامد، باستغراب سأل خالد حامد: "مو شنه هذا مو مستواه! ليش ما توجهه يا بوعبدالله"

حامد: اوجهه! الا اهو اللي يوجهني ويوجهك يا خالد.

خالد: شكلك زعلت لانه ولدك! والله لو ولدي قلتله نفس الشيء

حامد: شكلك لي الحين ما استفدت من الامثلة، شفت الولد يدش محل يهال على طول حكمت عليه.

خالد: يعني بالله شبيسوي بينزل شحنه العاب توا واصلته من تايوان والا عنده اجتماع مع صاحب المحل؟ الله يهديك يا بوعبدالله، هذا انتو يالكبار تصيرون عاطفيين مع اعيالكم كلما كبرتو.

خرج سعد من المحل ويبدو عليه حالة انشغال وتفكر بيده آلة حاسبة يتمتم بأرقام مخاطبا أبيه.
سعد: يوبه الحسبه اللي قلت لك عنها امس راح اسوي عليها تعديل، طلع لعبة (إدراك السعد) لازم انبيع الحبه ٣ دنانير و٧٥٠ فلس بدل خمس دنانير، والكمية إلي أتوقع نبيعها في الكويت راح تكون ٧٠٠ في السنة الأولى، راعي المحل ما رضى يعطيني معلومات عن حجم المبيعات للسنة الثانية حق لعبة مشابهة لقيتها عنده.

خالد مقاطعا حديث سعد باستغراب: هيه هيه هيه لحظة..! شسالفه صج شذب اللي قاعد أسمعه؟! رمق حامد صاحبه خالد كاتما في نفسه ضحكه حابسا أنفاسه.

في الطائرة ....

فصل (ورني عظلاتك)

انتهت الصلاة وانشر البشر أرجاء الأرض كلا إلى صنعته وعمله، لكن صوتا بدأ يعلو شيئا فشيئا أحدث ربكة فاندفع المصلين بعد الصلاة للخارج لمعرفة السبب وراء الصراخ من الواضع أنها مشادة كبيرة ولكن مع من؟ وما سببها؟ خرج حامد وابنه سعد وصاحبهما خالد في فضول وترقب، هناك عند الساحة الواسعة تماما عند باب المسجد عراكا بين إثنين، تعالت أصواتهم حتى تكونت حلقة دائرية حول المختصمين والجمهور المحايد يهمهم وآخرين تفاعلوا مع الحدث إلا الثلاث حال ما بين فهمهم لسبب النزاع لغة المخاطبة، أحد المختصمين كان يقل امرأة عجوز في الثمانين من عمرها على كرسي متحرك ويظهر عليها المسكينة انزعاجها الشديد من الموقف؛ الصراخ والمشادة والحدث.

خالد: مو كاسر خاطري غير هالعجوز اللي بينهم لا احترام ولا تقدير ولا مراعاة لمشاعر البشر طيب شنهو موقف المسكينه المقعده ليش تحرجها يا جليل الادب والتقدير؟
سعد: الغريب انه الثاني موقاعد يسوي شي شنه راضي على هالمهزله، معقول شذي يوبه والا هذه عاداتهم محد يتدخل بالثاني!

يبحث حامد يمنه ويسره في محاولة للتعرف على المشهد المفزع الذي أمامه عله يجد سببا أو مبررا لذاك الصراخ.

خالد موجها سؤاله لحامد: يالله ورني عظلاتك قولي بعد هالمسخره فيها مبرر؟

تردد حامد في البداية حيال نوع الدعم والمآزرة والتوجية الذي من الممكن أن يكون، حتى سمع أحد المتفرجين يتحدث إلى صاحبه بلغه عربية قائلا: "خيرا يفعل، هكذا تكون التربية"، كلماته تلك دعت لإستغراب الثلاثة خالد وحامد وسعد، فاستفهموا: "ما بال هؤلاء؟" فجاء رد الناطق بالعربية: "أن ذاك الذي يعلوا صوته كان يقول: والله لن أتركها حتى أستخرج لها تأشيرة دخول لأداء فريضة الحج ما دامت تستحقهها ثم أنها أمنيتها وقد اوصتني بها، أما الثاني الذي كان يدفع بالعربة كان متألما أنهما لم يكونا ضمن من قُبِلا لأداء الفريضة لهذا الموسم"

نظر حامد نحو خالد وابنه سعد اللذان تسرعا في الحكم، نظرا كل من خالد وسعد إلى بعضهما البعض، سأل خالد سعد: "حجت أمك ولا بعد؟"، رمق حامد صاحبه خالد بعين الإستغراب لسؤاله، كيف نسي انه كان معهما لأداء الفريضة العام الماضي!

فصل (المخفر)

توقف خالد الذي كان يقود السيارة عند الإشارة المرورية غير أن السيارة التي من الخلف لم تفعل أو أنها كادت تستطم بهم، هل كان سائقها سارح الذهن أم أنه لم ير اللون الأحمر المهيب هذا؟ استيعابه أخيرا لم يفي أو يكون قد تأخر بعض الشيء مما حمل أصحابه ركاب السيارة على الصراخ من أثر صوت احتكاك دواليب السيارة من خلفهم.

اندفعت الأجساد جميعها إلى الأمام أثر الاصطدام الشديد من الخلف، أثارت حالة رعب وتسائل الجميع ماذا جرى؟ أخذ كل منهم يتفقد الآخر.

اندفع خالد بغضب: أنت أعمى؟ ما تشوف الإشاره حمره جدامنا" خارج السيارة متجها نحو سائق السيارة التي اصطدمت به من الخلف، خرج حامد من السيارة ليتأكد من سلامة السائق، يخرج السائق من السيارة الخلفية فإذا بها امرأة، تقدم اعتذارها الحار لهما، مبرره فعلها بالمكابح التي لم تكن تعمل بشكل جيد.

ذهب الجميع لأقرب مركز شرطة لتسجيل محضر بالحادث، ومع اعتراف السائق بالخطأ سيجعل الأمر أكثر سهولة وسرعة في تحرير المحضر ومنها يتوجه الجميع إلى حيث وجهتهم، إطمأن حامد وجلس هو وابنه في السيارة خارجا وذهب خالد وصاحبة السيارة التي تهشمت بشكل كبير من الأمام إلى المحقق، ظل حامدا ينتظر حتى طال انتظاره إلى الساعة حينها أصابه القلق فطفق متجها نحو المركز، وإذا بخالد في شبه انهيار وهو منغمسا في مشادة لفظية مع خصمه.

حامد: شسالفه؟ شصاير شفيكم؟
خالد: الأخت الفاضلة كذبت على المحقق وقالت ان الإشارة كان لونها أخضر واننا نحن من وقفنا ما جعلها تصطدم بنا"، فاقترب من صاحبه حامد يسأله عل المحقق يصدق أقواله: "مو هي الي اعتذرت جدامنا؟ مو هي الي قالت فراملها كانت عطلانه! انزين ليش هالشذب"

لم يتوقع حامد هذا التصرف من فتاة محجبة فقد بان عليها الخوف والشعور بالذنب عند وقوع الحادث، في دهشة من أمره ما الذي جعل خالد يفقد أعصابه ويجن بهذه الطريقة، وما عقد لسان حامد عن الكلام أيضا، فأخذ يتأمل في المشهد، باحثا عن مبرر، ظل على حاله حتى وصل السيارة، ظل حامد صامتا وبدأ يدور حول السيارة لم يكن يتفقد صدمة الحديد إنما يتفقد المبرر، سعد في السيارة يراقب والده وهو في دوران لا يهدأ ولا يعرف سببا لذلك سوى أنه ينتظر لخالد.

يقود خالد السيارة وهو في حالة توتر ينفخ تاره ويسترجع الموقف تاره ومرددا: كلام متناقض.
أدرك سعد الشكل العام للموقف فبادر قائلا: شكلنا يوبه راح نلعب لعبة (أدراك السعد)
حامد: اي والله احنا ترى محتاجينها الحين بشكل مو طبيعي مستعد أشتريها بعشر دنانير مو3,750 دينار هذا وقتها ياخوك طلعها اليوم قبل باشر.
سعد: مستعد؟
حامد: "مستعد"، يسمع خالد ولا يعلم بالضبط موقعه من الإعراب.
سعد: كلمة تفيد بما يشكل مبرر لما قامت به الفتاه من فعل، فتكون الكلمة مثلا (خوف)، وهنا نكتب الكلمة في المربعات ضمن شبكة الكلمات المتقاطعة، ثم ننطلق من كل حرف لاستكشاف باقي سواء المبررات أو ما خفي عنا ما جعلها تسلك مثل هذا السلوك، فتكون الكلمة التالية، والتي يجب أن تتضمن حرف، الخاء، فنسأل مثلا، كلمة تعزز حسن نية، فيكون الجواب ضمن ما يلي من بدائل الكلمات، (خلل عقلي، خشية من الحبس)، ثم نأتي إلى الحرف الثاني من الكلمة وهو حرف (الواو)، فيكون السؤال ما الذي أعاق رؤية خالد ما جعله رأى الخطأ صوابا، فقد يكون الجواب في كلمة، (إضاءات سيارات من الخلف منعكسة على المرآة الأمامية في السيارة حالت دون مطالعة لون الإشارة) ما جعل قدرات خالد على الاستيعاب يشوبها النقص والخلل.

حامد: وقد يكون المبرر حالة نفسية كأن يكون لها عدد من الأبناء الصغار في انتظارها فقدمت الكذب كي تنقذ نفسها من المسائلة التي قد تكلفها سحب رخصة القيادة أو مخالفة مالية بقيمة خمس آلاف دولار لا تملك دفعها.
خالد: لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى عليه وسلم نبيا ورسولا.

برز ما يدعوه للتوقف عن القراءه إثر نداء الكابتن بربط الاحزمة ، ....

فصل (الواقع والحقيقة)

خالد: شرايك بو عبدالله شني بشرب قهوة، شكله المزاج محتاج شوية "فاين توننغ"!
حامد: فوقه"، فيشير إلى صاحبه قائلا: "شنه هذا مقهى" يدخلان فإذا بالمدخل يفضي إلى شرفه تطل على بحيرة ومنظر آسر أخاذ.

حامد: كثر الله خير هالمزاج اعتقد بيتضبط بدون قهوة والا شرايك خالد؟
يلتقط سعد صورا فوتوغرافية للمنظر من هاتفه الجوال.

يطلب خالد رؤية الصورة من سعد، ينظر خالد للمنظر ثم يعمد إلى قلب الهاتف، ثم يعمد إلى قلبه مرة ثانية ليرى المنظر!

حامد: شسالفه خالد منت عارف شلون تشوف المنظر هي كلها صورة!"، يعطي خالد الهاتف لصاحبه حامد قائلا: قولي إن عرفت الصورة شذي والا شذي؟"، عامدا إلى قلب الهاتف بإتجاهين متقابلين.

حامد: والله معاك حق".
خالد: الحين قولي وين الجبل الحقيقي؟ هل هو إلي تحت والا إلي فوق؟ يعني انعكاسه على سطح البحيره مو صح! ماتدري صح والا خيال! هذا يعني أن الواحد لازم مايستسلم لحواسه في الحكم على الأشياء.
سعد: عمي هذا مثل السراب عندنا في الكويت، أحيانا ما تدري ان كان صح في ماي والا مجرد سراب.
حامد: يعني ابهالصوره صح ما يمكن تعرف وين الجبل الحقيقي كثر ما ان الانعكاس ضابط ودقيق، يعني الإنعكاس سرق الحقيقة من الجبل الاصلي وأوهمنا أن هو الاصل! هذا النوع من السرقات، وهو نوع مضلل بالرغم من انه علمي، نلاحظه مثلا مع انكسار القلم في كأس مملوء لمنتصفه بالماء، ترى ما الرسالة هنا؟ مع مثل هذه الظواهر الطبيعيه؟
خالد: أتصور مو بس الخداع يكون بهذا الشكل هناك صور أخرى من الخداع لما نسمع مثلا صوت قوي قادم لنا من اليمين ويكون في حقيقة الأمر مصدره من الشمال، طبعا هذا له علاقه بالتضاريس والمباني اللي حولنا، وحتى لما نكون تحت في الماي واحنا مثلا نغوص، نشوف كل شي من حولنا قريب، من شذي لما نبي نمد ايدنا ما توصل فتكون الأجسام من حولنا ابعد مهي قريبة.
حامد: هني أعتقد رب العالمين بيقولنا تريثو قبل ما تحكمون على الشي إلي تشوفونه.
سعد مقاطعا: يوبه هذا يشبه ‘لي عطانا اياه الأستاذ، قالنا تعلمو الصبر وتثبتو من المعلومه وتعلمو مثل ما تعلم موسي عليه السلام من الخضر، لما خرق السفينة استغرب موسي عليه السلام من عمله وطلب تفسير مباشر فرد عليه الخضر أن ينتظر لحين يفسرله التصرف، طبيعي إلي كان يشوفه نبينا كان يعتبر تصرف خاطئ.
خالد: نعم خاطئ كما يبدو له، لكن الخضر كان عنده علم من الله أن هناك في ملك جدام كان يحتفظ ويسلب كل سفينة سليمه فحب الخضر يخرق السفينة حتى ما ياخذها الملك.
حامد: وهني يكون التصرف الخاطئ في نظر من عاين وشاهد أصبح تصرف صائب وصحيح، انتو تذكروني بسالفه قالها لي عمي الله يرحمه.
خالد وسعد :رحمة الله عليه شقال؟
حامد: قالي مره سالفه غريبه صارت مع أهل ديره حاشهم التثمين، فكانت الحكومة تثمن كل بيت صار خرابه أو فيه عيب، كان في واحد من أهل الخير يعرف بيت واحد معدم، وحب يغنيه، وعرف أن لجنة التثمين بتزور حيهم ذيش السنة، راح عليه وله بيت هالمسكين وهدم طوفتهم، طبعا كان يدري أن ماكان في أحد في البيت، أذكر الناس لما شافوه وهو يهدم الطوفه وينحاش، حاولوا يوقفونه، لكنه ما قصر في البيت شبه اعفسه، ولما جي صاحب البيت علموه بالسالفه وقالو له واحد مينون سوه هالسوايه وانحاش، طبعا قدمو له التعازي، وقال صاحب البيت حسبنا الله ونعم الوكيل، الله يغفر له، وهم في هالموقف يمرون لجنه التثمين، يوقفون عند البيت ويستفسرون عن صاحبه، ومباشرة يعاينون مساحة البيت، يسمعهم يسولفون بينهم عن سعره ويختلفون بينهم على السعر، وصاحب البيت ضايع بالطوشه او مو مصدق لا عينه ولا سمعه، ولا حتى جيرانه مصدقين، قالو هذا البلى بعينه، مصيبه ورا مصيبه شسالفه! ينهون لجنة التثمين حوارهم ويسلمونه كتاب مكتوب عليه، راجع

البنك الفلاني واستلم مبلغ وقدره ٢٠،٠٠٠ روبيه، هني صاحبنا ما صدق، قالهم تكفه علموني الصج انا بحلم والا بعلم، واحد من الجيران درى بسالفه لجنة التثمين، قاله مبروك عمي، خالي هم ثمنوله من اسبوع واعطوه خمسة عشر ألف من أسبوع. شرايكم بالسالفه؟

يتمتم خالد كالعادة: يعني هناك في علاقة بين انكسار القلم و السراب و هدام الطوفه وطبعا خرق السفينة، وين الصج؟ في النيه مثلا والا في التحقق وزيادة العلم والا في الصبر؟
حامد: خالد، في هذا كله واخلص.

فصل (خيانة أمانة)

في السوق المصري بين المحال الشعبية وأصوات الباعة تنادي أن اقترب أيها الشاري، هناك وجد حامد ظالته تعاين شاي الرمان، يقربه إلى أنفه يشتم عبق الطبيعة، يسأل البائع: بكم هذا؟"، فيأتي تعليق خالد وسعد وهم يطالعان أنواع الحلويات الشعبية.

خالد: هذا الصح! مو احنا ما نعرف غير الكادبري والكيتكات شنه ما كو غيرهم على الأرض.
سعد: عمي ذقت هالحلقوم بالفستق؟ تراه شي عجيب، عندهم نوع لونه أبيض شنه شعر بنات بس حيل خفيف ويذوب بالحلج ما يمديك تعلشه.

ولا يزال حامد يسأل البائع عن الأسعار يشير إلى إبريق شاي: "وهذا بكم؟"، موسم السياح هذا شأن عظيم وفرصة البائعين أصحاب المحال التجارية موسم انتعاش اقتصادي فيه تعويض لأشهر سابقة وفي هذا السوق بالذات حيث المشغولات اليدوية والأواني الفخارية المزخرفة بالألوان الزاهية والقطع الجميلة تلك التي تعكس حياة اسطنبول الساحرة.

لاحظ كلا من خالد وصاحبه حامد ما ينم عن تصرف غير حميد من البائعين كما بدا أنهما شركاء في المحل التجاري الذي يديرانه، ما شد خالد في تصرف البائع الأول هو أنه كان عندما يبيع ويقبض الثمن كان يستقطع جزء مما يقبضه فيضعه في جيبه، ويمنح الباقي للشريك دون أن يراه الشريك!، وهكذا مع باقي المشترين، كما أنه لاحظ أنه ومن غير علم شريكه كان قد أعطي رجل غريب ومن دون أن يرى شريكه المبلغ الذي جمعه مما استقطعه من مبالغ، إلى درجة أنه وبعد مضي خمس عشر دقيقة من تسليمه للمبلغ الأول لأحد الغرباء والذي كما يبدوا أنه متواطئ، تأتي إمرأة يتم حوار دون أن تشتري أي شيء فإذا به وهو جالس من أمام الطاولة يضع ربطة نقود في ظرف ويدسه في حقيبتها فتبتسم وتنطلق، غير أنه شريكه لا يعلم بهذا كله.

وقف كل من حامد وخالد بين تساؤل وحيره، هل يتدخلا من باب النصح؟ فيكشف ألاعيب ذاك البائع الخائن للأمانة، خاصة أنه كان يتحدث باللغة العربية بات أمره واضحا ومكشوفا لم يكن مبهما أبدا.

خالد لحامد: شرايك بوعبدالله آنه أقول نطلب من البائع الثاني كلمة راس ونأخذه في ناحيه بعيدا عن شريكه حتى نبلغه بما رأينا".
استلطف حامد الفكرةقائلا: أنت أطلب منه هذا الأمر وأنا سأبقي مع سعد في المحل كي نبدد ما قد يشير إلى تصرف يكون محل شبه من قبل البائع الأول.

غابا لبرهة بعد أن اجتمعا سويا خالد والبائع الثاني، ثم أقبل على صاحبيه حامد وسعد خارجا من المحل متجوها نحوهما بوجه هو غير الوجه الذي ذهب به

سأل سعد: يوبه هذا مو عمي خالد إلي نعرفه، شعر هنا حامد بالقلق حيال ما يمكن أن يفسر الموقف. فلما اقترب خالد من حامد أعطاه ظرفا.
باستغراب تسائل حامد: شنهو هذا؟
خالد: مبلغ عطاني إياه البائع الثاني! شريك البائع الأول.
حامد: شسالفه كل واحد قاعد يعطي من صوب!
خالد: آنا اقولك شسالفه مستعد تسمع؟
سعد: أنا جاهز، شوقتوني بعرف وين الصح من الخطأ.
يحذر خالد صديقه: خذ نفس، طال عمرك الحرمه إلي جت والبائع لما حط الظرف بحقيبتها كانت اخته، أخت صاحب المحل، وصاحب المحل يصير أخو البائع الأول، وإلي عطا اياها كان مجرد جزء من الزكاة، والدهم حرصهم أنهم يوزعون زكاة التجارة اليوم قبل باشر، والشريكين كانو يتنافسون في منهو يجمع أكبر قدر من المبلغ بحيث تستقطع الزكاة على الفور واتفقوا مع أختهم تجي تاخذ المقسوم توزعه على الفقراء.
حامد: وشتطلع هالفلوس إلي عطاك اياها؟

سعد: اي والله شتطلع؟
خالد: طلب مني أساعدهم في توزيع الزكاة، قالي هذا إلي أنا جمعته من طرفي واستقطعته من مبيعات اليوم!، طبعا هو تشكر مني كثير على أني كنت حريص على حلاله، بس أنا صراحة انصدمت، يا جماعه من الحين ورايح أنا ما راح أصدق إلي أشوفه إلا بعد ما أتأكد من المعلومة، وما راح أصدق حشي الناس والحشي إلي يدور في الدواوين ولا حتى ما تتناقله الصحافة من أخبار وقصص، يا جماعة السالفة شايده تحتاج تقوى وتحري وإحاطه وعدم تسرع، يا جماعة الدنيا بخير بس البلى فينا، نحتاج نصـفي نفوسنا.

ومع سماع ....

فصل(الهمبورغر)

حامد: ياجماعة نحتاج نمر على سوق مركزي نشتري أغراض وصتني عليهم أم العيال.
خالد: هذا شنه سوق مركزي
سعد: هذا مقهى عمي
خالد مترددا: أقصد اللي جنبه
سعد: إلي جنبه فندق
خالد: والله كيفكم أنا بروح معاكم إلي بتروحوله، بو عبدالله أنت شتبي بالضبط. !
حامد: يعني مثل حليب وتوابعه، "هام" وتوابعه، الخبز وتوابعه.
خالد مقاطعا: "هام" وتوابعه! الله يهديك بو عبدالله، لا يكون !! ترى الهام مولحم حلال، لحم خنزير لا يكون قاعدين تاكلون "هام" طول عمركم وانتو موداريين، ها سعد دير بالك.
سعد مقاطعا: أصلا أبوي ما قال "هام" قال لوازم الهوم، يعني لوازم البيت، أنا هذا إلي سمعته ما سمعته يقول "هام".
حامد: يسمعهم من ورا جناح اللحوم في السوق المركزي، أصلا أنا ولا قلت "هام" ولا قلت هوم أنا قلت "همبورغر" شكلكم سمعتو الشق الأول من الكلمة وتركتو الشق الثاني، يعني الشق (الهام) قد يعني أيضا (المهم)، يعني لاحظو هي مجرد أقل من لحظه تركنا بعض، ومع مجرد كلمة واحدة لم يتم استيعابها بشكل سليم صار اختلاف وتفسيرات في غير مكانها، هذا أنا لاني رئيس دولة ولاني مفكر ولا صاحب صحيفة يومية ولا ذو نفوذ مجتمعي أحدثت زوبعه معاكم من خلال كلمة فما بالكم مع الرواد والقادة، يالله لطفك ورشدك وهدايتك.

فصل (دولما بهاشا)

حامد: بيصيرلنا عشر أيام وبعدنا ما زرنا قصر دولما بهاشا يا خالد.
خالد: هذا آنا أصلا ياي حتى أزور قصور الخلافة العثمانية، يعني أنا باجيلي يومين وارد الكويت بحيل الله، متى تحب نروح وتحب نبدأ بأي قصر؟
حامد: في ثلاث قصور مهمه في إستانبول الأول قصر توب كابي ويعني الأسم بالتركية قنبلة المدفع، والثاني هو قصر البيلدز وهو القصر الذي عاش فيه السلطان عبد الحميد، والثالث هو قصر دولما بهاشا وهو آخر قصر بني عام ١٨٥٦ ومعنى الأسم هو الأرض التي دفنت في البحر، راح نزورهم جميعا، ولكن لأنك متخصص في قصر
الفرساي الفرنسي راح نبدأ بقصر دولما بهاشا أولا.
خالد: توكلنا على الله

من داخل القصر وبين الأروقة الملكية يتجول السياح في انبهار تام لعظمة الحضارات القديمة تلك الأعمدة العالية والصور المرسومة تتوسط حوائط القصر الشاهق تلك القطع الأثرية وهدايا الملوك العظيمة تلك الستائر المسدلة من أمام النوافذ الواسعه ذات الاطلالة الساحرة كل شيء في هذا القصر يدعو للدهشة والتفكر.

خالد: حقيقة شذي مقتنيات وشذي بناء وإتقان ينم عن رقي في الجانبين المعماري والفني، شدتني موجودات القصر من الهدايا الثمينة التي كانت كافة دول العالم من غربها مثل بريطانيا العظمي أو المانيا أو فرنسا وأسبانيا أو شرقها كالصين واليابان، ويظل السؤال الهام شلون تم إسقاط الإمبراطورية العثمانية وهي بمثل هالقوة؟

حامد: أنا بحثت لك في الموضوع، وأفضل ما توصلت له وإقتنعت فيه هو ما نشره كاتب تركي متخصص في التاريخ إسمه صباح الدين أرسلان، يقول صاحبنا إن سقوط الدولة العثمانية ما كان لمرض أو ضعف وما كان بسبب خيانة بعض قبائل العرب في الجزيرة العربية على سبيل المثال.
خالد: شوقتني، عيل ايش منه؟
حامد: ويعزز هالتفسير إنه يعتبر من خبراء الأرشيف العثماني، لاحظ الباحث الأستاذ ارسلان على سبيل المثال حجم مراسلات الحكومة العثمانية أو ما يسمى بالباب العالي مع الأقاليم البعيدة كمنطقة الخليج ولاحظ نوع من التوجيه المستمر اليومي عبر تلك الوثائق ما ينم عن تحكم وإدارة لا ضعف ومرض، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية، نجده يستعرض قصة غريبة تضمنتها تلك الوثائق.

خالد: قصه! والله أنت دوم سوالفك مثيرة وكلها حكم، تفضل قول.
حامد: اكشفت بعض الوثائق العثمانية عن رسالة موجهه إلى قائم مقام البحرين، وقائم المقام يعني ذلك الشخص الذي يتم تعيينه من قبل الباب العالي ممثلا عن الإمبراطورية العثمانية، في إدارة شؤون الولاية في المنطقة الجغرافية المحددة، الرسالة مرسلة، من المندوب البريطاني، وهنا لابد أن نشير إلى أنه لم يكن ثمت تواجد بريطاني في منطقة الخليج ولكن كان يوجد على الدوام تحرشات ليس من قبل البريطانيين فقط بل حتى من قبل الفرنسيين والألمان، حيث دأب البريطانيون على إثارة المشاكل والتحرش بالإمبراطورية العثمانية في الخليج.
خالد: شنهو كان مضمون الرسالة؟
حامد: تذكر الرسالة أن المندوب البريطاني تمكن من القبض على اللص الذي سبق له أن سرق من أحد التجار في البحرين، وقد تم تسليمه إلى قائم المقام في البحرين.
خالد: غريب! وما دخل المندوب البريطاني في ذلك هل هذا جزء من دورهم؟
حامد: أحسنت، أنت سبقتني وعرفت بالسليقه إن تصرف المندوب البريطاني خاطئ، بالطبع رفع الباب العالي الأمر إلي الإمبراطورية البريطانية، وإعتذرت بريطانيا ووبخت المندوب البريطاني.
خالد: وايش نستفيد من هالحركة؟
حامد: أولا يجب أن تعرف أن تصرفات المندوب البريطاني في المستعمرات البريطانية أو مع حدود تلك المستعمرات لا تتم دون إذن وتنسيق مسبق مع الحكومة البريطانية، فذاك التدبير وإن وبخت فيه الحكومة البريطانية مندوبها غير أن ذلك لا يعدو سوى أمر شكلي متعارف عليه ولا ينم أبدا عن سوء إدارة من قبل المندوب البريطاني وإنما إمتثال للأوامر واستغلال للفرص يكافئ فيما بعد عليه مندوبهم، والخطورة تدري وين؟

خالد: وين؟
حامد: تكمن الخطورة لو أن الباب العالي ما عارض واشتكا تصرف المندوب، ذلك أن السكوت يعني فيما بعد سابقة يمكن أن يتم البناء عليها في خروقات وتدخلات من نوع أكبر، هذه المرة في تسليم سارق والمرة القادمة في التدخل بقرارات وإدارة الولاية!
خالد: فضيع! هذا نوع من الغش والخداع والخيانة، شنهو يمكن نسميه بو عبدالله؟
حامد: هذي قصه وحده والقصص بالآف إذا عرفت أن الوثائق العثمانية تزيد عن خمسة مليار وثيقة وهي تحتاج من يبحث فيها ويدرسها.

يتأمل خالد وهو يمضي في ردهات القصر الجميل هذه اللوحات الزيتية المعلقة تزين قصر دولما بهاشا.

حامد: وهي تعبر كما ترى عن قوة وتمكن الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر كما ترى لاحظ في الرسومات هذي النظام الإداري للجيوش والتسلح والتمكن والأقدام، وربما مطالعة رسالة واحده فقط من رسائل السلطان سليمان القانوني وهو من السلاطين المتأخرين في عصر الخلافة، الموجهه إلى ملك الإفرنج تشير إلى مدى القوة التي كانت الإمبراطورية تنعم بها، أو ضمن رسالة موجهه من ملك أسبانيا يطلب فيها النصره من خليفة المسلمين فأوفد له الجيوش لنصرته.
خالد: إذن تاريخنا بحاجة إلى إعادة كتابة.
حامد: نعم وإعادة تفسير عما وقع ومسببات ما وقع.

فصل (دربك خضر)

خارج القصر مجموعة من الكراسي وطاولة مستديرة واحدة، بعد أن طلبا تناول بعض الطعام انشغل حامد في جعل الملعقة متزنة في طرف كأس، يتمعن خالد المشهد، فيأخذ هو أيضا ملعقة من أمامه محاولا تقليد حامد.

حامد: الإتزان هو المقصد، فلا إفراط ولا تفريط.
خالد: ذكرتني بقوله لعمر (رض) يقول فيها "لست بالخب ولا الخب يخدعني"، ما تعتقد بو عبدالله أن النهج إلي تؤمن فيه وإلي يغلب على الدوم حسن الظن والتماس الأعذار ممكن يكون عليك وبال؟ لاحظ مقولة عمر (رض) تأكد أهمية الإنتباه والحذر من الآخرين!

حامد: مقولة عمر (رض) أفهمها بشكل مغاير، أفهمها أنها تحثنا على بذل الأسباب اللازمة والتثبت بقدر الإمكان من أي شيء حولنا، وهي لا تدعو لإعتماد الشك أو سوء الظن، "إن بعض الظن إثم"، كما قال الله سبحانه وإنما اعتماد التثبت أي بمعنى آخر "إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"، فالتبين التبين.. ليس إلا يا خالد، وهذا هو التوازن إلي نبي نوصله.

خالد: طيب إذا اجتهدت واخطأت سواء في الحكم أو التقدير أو التفسير؟ هل هذا يعني رحنا فيها شفي؟
حامد: أبدا إطمئن بنسبه ٢٠٠٪ إن إلي وصلت له كان محل رضى رب العالمين، لأكثر من اعتبار الإعتبار الأول إنك بذلت الأسباب وتوكلت على الله وهني سيكافئك الله مهما تكن نتيجة ما توصلت إليه، وإعلم بما أن الله هو الحافظ فإنه سيحفظك، وبما إنك توكلت عليه وبذلت السبب فإنه لن يخذلك فهو الوكيل كما أنه هو الحكيم فأنت مع الحكيم تستمد منه الحكمة والإرشاد فلا يخذلك الوكيل ولا الحكيم ولا الرشيد، فقط إبذل السبب الكافي والوسع ثم اتكل عليه وأنت مطمئن فلن يكلك إلى أحد سواه، والاعتبار الثاني هو أنك تعتمد على مكر رب العالمين وتدبيره وعليه تبرأ إليه من مكرك وحولك وقوتك.
وهذا ما يجعلك على الدوام محل رعايته وحفظه وإحاطته، حينها "إمض ولا تلتفت" بين
قوسين، دربك خضر، يا بوليد.

فصل (المطار)

يسحب خالد سحاب الشنطة استعدادا للرحيل، يقطع تأهبه للمضي هاتفه، يبحث عن الهاتف فلا يجده إلا بعد أن كاد أن يستسلم المتصل، يعاين اسم المتصل، يلتقط الهاتف.

خالد: الو بو عبدالله، لا تقول! شنهو؟ من صجك! الحين!

في المطار يقدم حامد جوازه للمضيفة، يأتي خالد إلى الكاونتر متأخرا فيعانق صاحبه حامد كأنه يلتقي به بعد فراق طويل.

خالد: شهالقرار المفاجئ بو عبدالله؟

حامد: اتصلت فيني أمك البارح تقولي انها لسبب طارئ ما راح تروح كندا تحضر تخرج أخوك فراس واطلبت من أم العيال تسمح لي أقوم بدورها كخال، وتبي الصج، أنا بروح
كندا حق حفل التخرج مو علشان فراس بس! علشانك أنت بعد لأني فقدتك حيل بهالست ساعات من أمس لي اليوم! ها مستعد لمغامرة جديدة؟

خالد: إلا قولي خالي حامد، كندا شلون صارت من الدول الصناعية الكبرى السبع وعدد سكانها حول الثلاثين مليون؟ يعني ضعف سكان القاهرة؟
حامد: ولي بدينا، شكلي بهون، أقول.. عندك كستن؟

لاحظ خالد انقاء تسع ساعات ....

معلقين بين السماء والأرض فوق أرض لا تنام أبدا طائرة الخطوط الجوية البريطانية تحلق عاليا متجه إلى "تورينتو – كندا" استقر الركاب أخيرا وخيم السكون وراح الجميع في سبات إلا هذين بقيا يتسامران يسلي أحدهما الآخر.

خالد: ثلاثة ساعات من الكويت إلى استنبول أجهل كيف مضت واليوم رحلتنا تستغرق إلى تورنتو تسع ساعات لا أعرف كيف سنقطعها؟
حامد: ستمضي الساعات سريعا مثلما تمضي أعمارنا ألم تكن بالأمس طالب تدرس اللغة الفرنسية واليوم أنا تلميذ لديك أنا من أكبرك بعشرين سنة أليس من المنطق أن أقوم أنا بتدريسك؟ توكل على الله سبحانه فهو المتعهد بنا لا نملك إلا بذل الأسباب والسعي والنية الطيبة ونسأل الله القبول".
خالد: أمر الحبس لمدة تسع ساعات في الطيارة يقلقني، كيف سنقضيها ماذا سنفعل؟
حامد: تدرسني الفرنسية.
خالد: لتسع ساعات الآن في منتصف الليل!؟
حامد: قل لي ما العلاقة بين الرقم تسعه والساعة وظلام الليل الدامس والدراسة؟
خالد: لا علاقة..! أقصد لم أفهم، أعني يبدو أن آثار تعب السفر والسهر تظهر علينا، ها نحن بأول ساعات الرحلة كيف يكون حالنا بعد قطع كل تلك المسافة.
حامد: أعطني ورقة أأجد عندك قلم؟"، وأخذ يكتب حامد على قطعة الورق ما يلي: (٩، ساعة، درس، ظلام دامس).
حامد: من الممكن نلاحظ عدة دوائر وسمات التشابة في الكلمات هذه، الدائرة الأولى...".
خالد بصوت خافت: اوه.. بدأ بالتغريد
حامد: (١٢/٩/حساب /١٢)، فالساعة تحوي ١٢ رقم، والدرس ممكن يكون حساب يعني هم أرقام، وفترة الظلام ما تزيد في العادة عن هم ١٢ ساعة، يعني العلاقة صارت كلها أرقام في أرقام الدائرة الثانية، إن كل منها يحوي حرف السين!
خالد: خالي.. الزبدة..!؟
حامد: سبق وذكرت للمرة الألف لا ألقاب إكتفي بتسميتي أبا عبد الله ألسنا أصدقاء؟ ثم انني أمقت الألقاب؛ تعظم الحواجز، فلتكن علاقتنا (سلسة.. سهلة.. سالكة.. سمن على عسل) أنت يا عسل، لاحظت كل كلماتي بدأت بحرف السين! يبدو أنه فعلا بدأت تظهر علامات السهر علينا سأختصر قولي قبل أن تستسلم للوسادة

خالد: أسمعك
حامد: كل ما حولنا فيما بينه علاقات، والعلاقات هذه مبنيه على مفاهيم والمفاهيم هي البنية التحتية غير المنظورة التي يمشي عليها هذا الكون، وتصبح على خير.
خالد: لحظة لحظة أبا عبد الله، هذه قنبلة بهذا الحجم!"، مشيرا بكفيه لحجم كبير في الهواء، مضيفا: "كيف أنام بعدها؟"
حامد مخاطبا المضيفة: tow pillows please
خالد متذمرا: سبق أن تعرفنا على دائرة الواقع والحقيقة فما هي دائرة المفاهيم؟ كيف يهدأ لي بال بعد أن قرر صاحبي أن ينام!؟
حامد: نلتقي في الصباح إذا سألت المضيفة أرغب بالفطائر المحلاة، إحرص على أن تطلب القيقب.

استسلم خالد للأمر الواقع، اسند رأسه وأرخى كتفه في محاولة للاسترخاء والنوم، اغمض جفنيه واطرق في التفكير في الفضاء الواسع الذي يحلق فيه ٤٠٠ مسافر، "400 مسافر"، يحدث نفسه متسائلا: "هل من علاقة تجمع الـ 400 مع (٩/ درس ، ظلام دامس ، ساعة)؟ ما الحكمة من التفكير يبدو أن خالي كان كل همه أن يشغل تفكيري بإيجاد علاقة بين هذه العناصر كي يصرف انشغالي بطول الرحلة لكن وكما قال المغني التركي: (يواش يواش) يا خالي.

قبل بزوغ الشمس بقليل، وقف خالد في انتظار خروج من يشغل دورة المياه، وإذا بها سيدة، قال يحدث نفسه: "هذا هو المكان الوحيد الذي فيه يشتركان فيه الرجل والمرأة ، فلا حمامات خاصه للرجال وأخرى للسيدات في الطائرات، قانون يطبق علي الارض وبمجرد اقلاع الطائره تتغير القوانين ! هل مفهوم الرجل والمرأه اصبحا متطابقان متشابهان؟!
تداخلت أفكار خالد ببعضها وأحس بشيء من الصداع ، سأل المضيف i had a headache any kind of pain relief please وعاد إلى مقعده

نظر نحو النافذة فاذا بالغيوم تبدو كما لو كانت تحتضن الارض شكلت صورة جبال وخلجان وشواطئ
رمق صاحبه لا يزال ينعم بنوم عميق مسترخ تماما كما لو كان متمددا أمام الشاطئ، عاود النظر عبر النافذة تلك الغيوم مبحره تشق عباب السماء، قال: "سبحان الله هذا يذكرني بحرف السين (السماء) ، والارقام التي اشار اليها بوعبدالله ، ولكن ما الرابط فيما بينها وما الرسالة!

استيقظ خالد من أثر رنين الهاتف رفع السماعة "ألو.. ألو.."، ما من مجيب، الغريب أن الرنين لم يتوقف فمن أين مصدره أزعج هناء نوم خالد وأربكه وما إن إنتبه أنها ساعة المنبه حتى ألقى عليها وسادته مغاضبا وهو يصرخ: "هدووووء"، رمي الوسادة خلف أثرا أكثر إزعاجا إذ أن جميع الأغراض التي كانت على الطاولة القريبة من المنبه تناثرت أرضا هنا وهناك. يغالب النعاس بين الصحو وأثر رحلة من العيار الثقيل محدثا نفسه: " كيف لم أميز بين رنة الهاتف ورنين ساعة المنبه؟!"، في محاولة لإستعادة إتزانه وعقله مضيفا: "لحظة، وهذه أيضا سمات تشابه فيما بين المنبه والهاتف! يا إلهي ما الذي يريد أن يصل إليه أبا عبد الله..؟ أجده حتى في ساعات نومي".

طرقات من خلف الباب تقطع حديث خالد يزيد رنين كل من الهاتف وساعة المنبه الغرفة صخبا يتجه خالد نحو الباب وإذا به أبو عبد الله

خالد: اهلا أبا عبد الله

حامد: مع من كان حديثك؟

خالد: مع نفسي

حامد: كان صوتك عال جدا، صليت؟ اتصلت مرتان ولم ترد فقلت: آتي لأوقضك بنفسي قبل شروق الشمس هيا لدينا الكثير لإنجازه وأنت لا تزال في نومك العميق!

خالد بصوت خافت: أنا في نوم عميق؟"، بجسد متثاقل يحمل نفسه إستعدادا للصلاة.

حامد منهيا الصلاة: السلام عليكم ورحمة الله.. السلام عليكم ورحمة الله.."، يردد: أصبحنا واصبح الملك لله"، أدار جسده نحو صاحبه ليقول: "متى موعد حفل تخرج أخيك بدر؟"

خالد: أترغب في زيارته اليوم؟

حامد: التاسعة مناسب؟

خالد: أهي صدفة أم أنك متعمد؟

حامد: ماذا تقصد؟

خالد: لمَ الرقم تسعة!

حامد: يبدو أنك بحاجة إلى طبيب نفسي!"، وتتبع تعليقه بقهقهات عالية مضيفا: "كل ما أردته هو أن أبين أن كل ما حولنا يجتمع فيما بينه دوائر أو سمات من التشابه يبقى أنت وقدرتك في التعرف على ما يشكل تشابه الدوائر هذه حتى إذا تعرفت إليها وصلت..!"

خالد: وصلت إلى أين؟ لم يهدأ لي بال منذ أن وصلت الفندق ليلة أمس وكأني في حالة وهم"

حامد: أطال الله في عمرك يا ولد أختي الحبيبه ويا ولد اختي الحبيب، هل لاحظت كيف أن الحبيبه والحبيب يتماشيان تماما مع العبارة؟"

خالد: بالتأكيد يتماشى مع قواعد اللغة فالأولى تعود على أختي وأما الثانية فتعود عليَ"

حامد: أنت يا مدرس اللغة الفرنسية أسألك هل في اللغة قواعد أم أن الموضوع عائم؟ فإذا كانت اللغة التي هي مجرد كلمات تحطمها قواعد فمن باب أولى أن كل ما حولنا تحكمه أيضا قواعد أليس كذلك"

خالد: so far so good

حامد: إذن إذا استطعنا التعرف على هذه القواعد نعرف أنا في أمان وإلا أصبح كل ما حولنا يرتطم بالفوضى أليس كذلك؟"

خالد: طيب.. عسل يا سمن

حامد: أهم عنصرين هما التعرف أولا على سمات التشابه ما بين الأشياء من حولنا ومن ثم التعرف على القاعدة التي تجمع فيما بين التشابه، حتى إذا تعرفنا على العنصرين نكون قد وصلنا.. وصلنا يا خالد"

خالد: وصلنا لماذا؟

حامد: وصلنا للمفهوم الذي بنيت هذه الموجودات عليه"

خالد: عجيب! كأنها تشير إلى السادسة ما رأيك أن نكمل حديثنا الذي بدأ يحلو على الإفطار"

حامد: ما رأيك أن يشاركنا أخاك بدر؟

خالد بصوت خافت: هل يسعفنا الوقت؟

تناثرت طاولات المطعم خارجا من أمام الشارع في محاولة لإغواء المارة وكأن صاحب المطعم قد ألقى شباكه بعيدا ليصطاد زبائنه وقد كان الثلاثة حامد وخالد وبدر فريسه سهلة لتناول وجبة الإفطار لدى مطعم la canal

خالد محدثا حامد: هل لاحظت ساعة الحائط؟ إنها تشير إلى السادسة لم أأكل شيئا منذ أن اشترينا البسكويت من استانبول"
حامد: وأنا عند وعدي التاسعة يعني التاسعة لا زيادة ولا نقصان"
خالد يسأل بدر: يبدو أن عيناي تزغلل كم الساعة الآن؟
بدر: السادسة عصرا لا زيادة ولا نقصان
خالد ينظر نحو حامد دون أن يبدي بكلمة وكأنه يقول الساعة السادسة وليست التاسعة هناك فرق ثلاث ساعات!
حامد موجها سؤاله لخالد: حينما سألتني متى أرغب بلقاء بدر ما كان ردي؟
خالد: الساعة التاسعة!
حامد: غير صحيح
خالد: ها!
حامد: قلت التاسعة ولم أقل الساعة التاسعة! ولو أنك قمت بحساب الوقت من الساعة التاسعة وحتى السادسة الآن كم ستكون؟
يرفع خالد يديه ليقوم بعملية الحساب كما لو كان صبيا مستخدما أصابعه بالعد، قال أخيرا: تسع ساعات لا زيادة ولا ناقص
حامد يشير لنادل المطعم من أمامه: please excuse me, orange juse no ice
خالد: كسرت قواعد اللغة!
يلتفت حامد نحو خالد موضحا: أستغرب لإستغرابك، سبق أن ذكرت كل ما حولنا يخضع لقاعدة، الساعة التاسعة تختلف عن تاسعة لأن تاسعة قد تعني تسع ساعات أو تسع دقائق أو تسعة سيارات أعرف أن سياق الحديث يدعوك للإستفسار لكني أردت لفت إنتباهك لما يشكل زاوية من التشابه، ولأنه لا تشابه أصلا ما بين الساعة التاسعة صباحا والساعة السادسة عصرا إلا أن هناك علاقة قوية ومتينة جدا من خلال الفاصل الزمني الذي بينهما وهو التسع ساعات! إذا استطعنا إخضاع إدراك هذا التشابه لقاعدة يصبح بعد ذلك مفهوم.

قطع خالد حبل استرساله في رواية ابوعبدالله ....

فصل (يوم التخرج)

تصفيق حار.. عزف موسيقي لا مثيل له.. القاعة تضج بالجمهور المهنئين والفرحين بهذا اليوم الموعود انتظار دام أربعة سنوات من الدراسة والاجتهاد واليوم يكلل بالإنجاز والنجاح والمستقبل الواعد الجميع في انتظار لحظة استلام الشهادات كانت آمال وأحلام سرعان ما أصبحت حقيقة وواقع، في هذا المكان المسرح العظيم الكبير ذو التجهيزات العالية كل شيء يبدو متقن إلتمت الحشود في انتظار فرحة طال انتظارها أربعة وعشرون عاما. يحاول حامد وخالد التعرف على موقع بدر من بين الخريجين وقد تقلد الطلبة أوشحة التخرج، خالد في شغل شاغل يلتقط صورا فوتوغرافية من هنا وهناك، بدأ عريف الحفل في إلقاء كلمته وحان وقت النداء بأسماء الخريجين علا التصفيق وهتاف المحبين من كل صوب وصاح العزف يدفع الأرواح عاليا يملؤها بهجة وإنجاز.

راح الطلبة يتهافتون على أساتذتهم للإلتقاط الصور التذكارية هناك يقف رئيس الجامعة جفري بكل فخر ينظر نحو الجموع، سأله حامد عن شعوره في هذه اللحظة، فأجاب مبتسما: قد اعتدت فهذا هو العام الحادي عشر الذي أقوم فيه بتخريج دفعة جديدة وتسليم الشهادات".

في دربهم للخروج من الحرم الجامعي قدم حامد تهانيه لبدر ودعا الأخوين لتناول الغداء في مطعم رامادا الفاخر المطل على شلالات نياجرا، الاطلاله التي تمكنهم من مشاهدة ولاية نيويورك المطلة على ذلك الشلال العظيم من خلال مدنية بافالو الأمريكية.

علق خالد على إفادة البروفيسور جفري قائلا: ستكون له مكانه مرموقة في عالمنا العربي.
بدر: عشرون عاما من الخبرة في التدريس والإدارة.
خالد: أعتقد أنه قام بتخريج ما يزيد عن الخمسة آلاف طالب.
حامد: ليست العبرة في عدد الطلبة الخريجين بل عدد من يشكل اضافه لمجتمعه، إذ أن برنامجا تدريبيا واحدا لأسبوعان يمكن طالب الثانوية بالقيام بأعمال الخريج الجامعي.
بدر: ماذا تقصد؟

حامد: أقصد الهدف هو تخريج طلبة قادرين على التعامل مع الحياة وليس عدد من الطلبة طبق الأصل ينتجون سلعة واحدة، نريد التعمير وليس الإقتصار على بناء الأرض وأن نكون قدر المهمه التي كلفنا بها الرب وهي مهمة الاستخلاف، أنظر إلى تلك الأدخنة مصدرها المصانع أهذا تعمير؟ تلوث ومخلفات وإشعاعات تهدد الأرض هذه المصانع الضخمة تصدر مخلفاتها لتدفن في الصحاري أو بأحدى الدول الفقيرة بمقابل مبلغ زهيد أهذا تصرف إنساني أيتوافق مع التعمير؟ هل كان اختراع القنبلة الذرية وإلقاءها على هوريشيما تعمير؟ أم الحروب الكيميائية التي أحرقوا فيها الفيتناميين تعمير؟ أشعر أحيانا أن تخلفنا في العالم العربي أبرك من تقدمهم إن كان هذا ما يسمى بالتقدم المشكلة تكمن في أنهم يتعاملون مع أشكال الحضارة وليس مفاهيم الحضارة أما نحن فلا مع هذا ولا ذاك في ضياع مبين.
بدر: موضوع يشغلني منذ فترة.. فقل لنا كيف السبيل للتعمير؟
خالد: قل لنا كيف نتعرف على المفهوم وكيف نفعله حتى نعمر الأرض؟
حامد متسائلا: أهذا بقل أم بقدونس؟
بدر: أطال الله في عمرك أنه نوع من أنواع البقدونس وفي هذه البلاد يهتمون بساق النبته وتسمى "سالاري" يقال أنها مفيدة جدا خاصة لتفادي مرض السرطان بعيد عن الجميع لغنى النبته بالألياف.
حامد: ذكرني البقدونس بحديث جدتي..
خالد وبدر: ماذا تقول..؟

حامد: تقول أن ابنة خالها عبد العزيز رفع دعوة قضائية يطالب فيها بحقه من أحد التجار وقد كان المبلغ الذي يطلبه كبير، وكما تعرفون خالكم عبد العزيز كان فاحش الثراء وله علاقاته ناهيك عن النفوذ غير أن معاملاته لم تكن خالصه بإختصار لم تكن سليمه فيها الكثير من المظالم وقطع الأرزاق، حكم لصالحه في تلك القضية بمبلغ مائة ألف روبية من غير حق طبعا، ذاع الخبر وكان حديث البلد تمنى الغني والفقير لو كان مكانه، مئة ألف في ذاك الزمان كانت ثروة طائلة تشتري فيها بلدان بأنهارها، تزامنا مع الحكم حكم لزوج جارتها المظلوم بخمسة آلاف روبية، رضا بالمقسوم والقضاء واحتسب، تقول جدتي دارت الأيام كما دارت تلك الروبيات المعدودة بيد هذا المظلوم في تجارة مع الهند لتتضاعف أرباحه ويسعد، وتغرق لخالكم عبد العزيز سفينة كانت محملة بالبضائع الفريدة من عمان فتكون خسارته خسارة فادحة لا قبل لها، أرئيتم كيف يكون المكسب الحلال والحرام؟ والمفهوم واحد تنجح إذا عرفت التعامل معه وتكون خسارتك مرتين إذا تجاوزته، صاحبكما خسر نقوده في الدنيا وخسر رضا ربه في الآخرة.
بدر: سبق أن أخبرني صديق عن زوج ضاعت ثروته في علاج زوجته يجوب فيها البلادين بحثا عن شفاء، كان ارتباطه بها للإرث فخسر هذا وذاك.

حامد: تتعدد المفاهيم منها على سبيل المثال مسألة القصاص، فمفهوم القصاص في الإسلام يعتبر حياة وليس موتا هل لاحظت ذلك؟

فصل العلم ام المفاهيم

في منتزة واسع كبير بالقرب من شلالات نياغرا العظيمة، مد البصر عشب أحضر فاقع لونه مريح للبصر يلعب الشقيقان خالد وبدر الكرة الأمريكية بينما يستقر حامد أرضا تحت ظل شجرة يقرأ في كتاب للكاتب التركي أورهان باموق. اقترب الإثنان من خالهما متسائلان.

خالد: ليست من عادتك.. أنت صامت اليوم!

استقر بدر بالقرب من خاله يحدثه: الشعب الكندي من الشعوب الأكثر نظاما ودقة حتى في علاقتهم مع الأجني، الأجنبي على هذه الأرض له قيمة لا تقل عن قيمة المواطن نفسه، يقول لي صديق إختار كندا مهجر، يشرح كيف أن كندا هيئت له سبل النجاح والحياة الكريمة ابتداء من ضمه لبرنامج تدريبي يغطي كافة جوانب الحياة كالمهارات وأخرى حرفية تساعد على كسب رزق كريم برامج تدريبية على مدار العام وهي وكما ذكر أنها مجانية، ثم تأمن للمهاجر فرصة عمل، صديقي عمل في مجال خدمة المسنين في أحدى دور الرعاية وقد أحب عمله وأخلص فيه كما أحبه جميع العاملين في الدار وقد عرض عليه منصب رسمي وراتب كذلك، أما صديقي الآخر فقد أصبح مسؤل مبيعات في أحد أكبر شركة لبيع السيارات، يقول انضم لبرنامج تدريبي خاص لأصحاب المناصب القيادية في الشركة وقد استفاد وتعلم الكثير ما كان له الأثر الواضح على حياته المهنية الناجحة جدا. هذا وكثيرين آخرين وجميعهم عرب تجدهم على أفضل حال يتمتعون بالعيش الهني الرغد يملكون الأراض ومحطات الوقود والمتاجر، أما نحن في بلادنا وكما يعرف الجميع طبعا فلا يمكن لمواطن أن يمتلك محطة وقود!
أسلوب العيش هذا والتنظيم جعلهم في الريادة مع الدول الصناعية السبع الكبرى في العالم في الوقت الذي تجد عددهم لا يتجاوز عدد سكان القاهرة! وسؤال يحيرني لمَ لا نستطيع فعل نفس الشيء؟ وما جعلنا نتأخر بعد أن كنا أسياد أهل الأرض، بعد أن كانت الأمم السابقة تتعلم منا بحور العلم أصبحنا اليوم في المؤخرة!

حامد: ذلك لأنهم تعاملوا مع سنن الحياة أما نحن فنمنا عنها.
بدر: سنن الحياة؟ ظننتك تقول العلم والتكنولوجيا، لأجل ذلك حرصت على العلم والشهادة رغبة لإعادة أمجاد الحضارة التي كانت.
حامد: كلانا مصيب، كل ما هناك أن الأمر يتطلب إعمال الجناحان معا، المفاهيم أولا ومن ثم العلم والتكنولوجيا التي ذكرت، الأمر يوجب عمل الإثنين معا لا يستقيم بأحدهما.
بدر: عرفت العلم فما تقصد بالمفاهيم وما علاقتها بالتكنولوجيا؟

يتطلع خالد لإفادة تشفي غليله فهو ما زال غير مستقر في ما تلقاه من لكمات حامد العلمية والتي تنم عن خبرة وممارسة واقعية في الحياة.

حامد: سأبدأ بالعلم والتكنولوجيا أولا، هل سألت نفسك من قبل ما فائدة علم ينفع أمة دون أخرى؟ وما فائدة تكنولوجيا لا تفيد الإنسان وتمكنه من رسالته في عمران الأرض؟ إنظر في حجم صرف الدول المتقدمة بما فيها الدول النامية على شراء السلاح وما غير ذلك من استعدادات حربية، كل هذا لمَ؟ أعتقد أنّا تجاوزنا عضر الإنسان الأول وعصر الديناصورات، عين التخلف، هذه ناحية أما ما يخص ناحية المفاهيم فالرب تبارك وتعالى أودع فيما خلق مجموعة مبادئ وقيم ومفاهيم فمن استوفاها صارت له الغلبة إذ أنهما عنصران إثنان: المفاهيم والأسباب، وأعني بالأسباب هنا العلم والتكنولوجيا مثلا فمن السنن والمبادئ مفهوم العدل، فللخالق نواميس من حكم بالعدل فقد فاز بالتمكين، ومن تلك السنن والمفاهيم النصرة، "إن تنصروا الله ينصركم"، ومن تلك "أعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، والعلم والتكنولوجيا من القوة وعلوم الإدارة وكافة العلوم من رياضيات وطب وهندسة وأخرى، لذلك الغلبة والتمكين يكونان دوما لمن يستوفي هذان العنصران معا، لاحظ غلبة المسلمين في أوج حضاراتهم كيف أنهم أضحوا أسياد بالقيم ومبادئ العدل وتشغيل المفاهيم جنبا إلى جنب مع اختراعاتهم في علوم الرياضيات والفلك والبصريات والطب وما إلى ذلك، حتى تطرفوا بالإستغناء عن أحد العناصر فمالوا وحادوا عن الجادة فكان المصير التخلف، وكذلك الغرب المتقدم نجده في مراحل من تاريخه المعاصر مطبقا لمدئ العدل ومفعلا للتكنولوجيا فساد وليس لذلك علاقة بكونك مسلم أو غير مسلم، تلك سنن تجري على الجميع لذا عندما حادوا عن القيم والأخلاق وأصبحوا يمارسون الظلم والغش بدأوا يتراجعون شيئا فشيئا وهم بلا شك في حالة من التراجع الآن.

إلتفت حامد نحو خالد يخاطبه: كأنك تراجعت عن الأكل!

خالد: سرحت فيما ذكرت ويبدو أني ما زلت بحاجة لجرعة مفاهيم ليس للأكل طعم أشعر أن شيئا ينقصه!

حامد: ما ينقصه هو القاعدة التي من خلالها تشتغل المفاهيم، نكمل الحديث بعد تناول العشاء وبعد قهوة المساء أعرف مقهى قريب من هنا أذكره جيدا منذ زيارتي الأخيرة قبل ثلاثة سنين فما رأيكم؟

الأخوين: تم

بداخل مقهى "تم هورتن" رائحة القهوة الزكية تنعش الذاكرة والروح، أمام شتى أنواع القهوة يقف خالد في حيرة من أمره أيهما يختار؟

حامد: يطلقونه عليه اسم "لاتيه" وهو عبارة عن قهوة بالحليب، كأنك تقول شاي بالحليب، أما "الفرابتشينو" أو "الماكياتو" فالأول قهوة باردة والثانية ساخنة، "الموكا" عبارة عن قهوة ممزوجة بالشوكولاته، فأنت يا خالد إذا عرفت المبدأ انتهت حيرتك.

خالد: وفي القهوة شؤون، حتى هي تخضع للتحليل ولها وجهة نظر!
حامد: الأمر سهل يا خالد كما أنه يطبق على كل ما حولنا وبمعنى آخر..، سأرسم لك ما يبسط المعنى أأجد لديك ورقة؟

خالد: بدر هل لديك ورقة؟
بدر: نستطيع استخدام ورق المحارم، وهذه كمية خذ وارسم ما شئت.

افترش حامد محارم الورق مد الطاولة وأخذ يرسم عليها بقلمه السائل مربع في الأعلى تتفرع منه مربعات وبدأ يكتب في المربع الرئيس كلمة قهوة، ثم في المربعات المتفرعة الكلمات التالية "حليب، شوكولاته، ثلج" ثم عمد إلى وضع مسميات في أسفل كل مربع "لاتيه، فرابتشينو، موكا" ثم قال:

حامد: لاحظتوا معي هذا التصنيف؟ هذا الرسم يساعد على التعرف على البنية التحتية لأي مفهوم، ولاحظتوا كيف أن جميع مسميات أصناف المشروبات المقهى تشترك جميعها بسمة واحدة! أتعرف يا بدر؟

بدر: القهوة
حامد: هذا صحيح، فإدراك المفهوم يحتاج تحديد السمات المتشابهة ثم التعرف على القاعدة التي تمتثل لها كافه تلك العناصر، وهو ما ينطبق على كل شيء من حولنا.
يصير البائع مناديا صاحب الطلب قائلا: "كراميل ماكياتو".
حامد: ليس هذا لنا

حاول خالد ان ....

فصل القيقب

في منزل بدر الصغير، يطالع حامد حائطا ملئ صورا ورسومات شتى ملاحظات أيضا على ورق لاصق ذو اللون الأصفر والأخضر وآخر وردي، يتأمل حامد في المهرجان الورقي هذا كما لو كان لوحة ورق جدران.

بدر: أعتذر يا خالي على هذه الفوضى، منزل طالب جامعي أنهكته الدراسة.
حامد: رائع.. بل أنا سعيد جدا لأني أطلع على عقلك من الداخل، من خلال هذه الفوضى أستطيع أن أجزم أنك منظم جدا، وأنك تتعامل مع المفاهيم بشكل تلقائي كل ما في الموضوع أنك بحاجة إلى بعض التوجيه.
يحدث خالد نفسه: في محاولة شاقة لفهم أمر المفاهيم وإذ بشقيقي الأصغر أفقه مني بذلك!
حامد: أين الثلاجة؟
بدر: خلف هذا الحائط.
توجه خالد نحو الثلاجة يسأل: أبا عبد الله، تشرب العصير أم مشروبا غازيا، أوووه هناك "الفيمتو" أيضا!
حامد: ماذا عن شراب القيقب؟
خالد: ماذا؟
حامد: سيروب
خالد: آه "سيروب"، لم أكن أعرف أن له اسم آخر يدعى "قيقب"، لطيف المسمى ما أصل الكلمة هل هي ألمانية؟
حامد: عربية يا حبيبي، يا مدرس اللغة الفرنسية!
بدر: لكنه مشروب لا يشرب هكذا لوحده!
حامد: أعرف هذا، سؤالي هل تعرفون من أين يستخرج؟
بدر: إن لم أكن أعرف من أين يستخرج "شراب القيقب" لا أعتبر كندي!
خالد: إذن أنا خارج اللعبة، شعرت من المسمى أن له علاقة بالكائنات البحرية "القبقب" ربما
حامد: أنت رسميا خارج اللعبة يا صاحبي، هل تذوقته من قبل؟

خالد: طبعا، أليس ذلك الشراب المحلى "الشيرة" كالعسل تماما يسكب فوق "البانكيك" الفطائر، حلو الطعم سائل ثخين متماسك.
حامد: تتوقع من أين يستخرج شراب "القيقب" هذا؟
خالد: ربما كان مصدره العسل نفسه أو الدبس، أو ربما قصب السكر مثلا
حامد: محاولا ت رائعة، لكن إجاباتك غير صحيحة.
خالد: أشكر تشجيعك، إذن من أين؟

حامد: إذا كان العسل يستخرج من النحل وهي حشرة، والدبس من التمر وهو ثمر، وقصب السكر نبات، فالقيقب يستخرج من ورق شجرة مشهورة في كندا تدعى "المابل"، حتى أن شعار الدولة وعلمها كان تلك ورقة الشجر التي يستخرج منها شراب القيقب، لاحظوا معي جميع العناصر التي ذكرتها لخالد مختلفة، لا تجمعهم علاقة إلا أن السمة الوحيدة التي تجمع ما بينهم هي الحلى، لذلك إذا أردنا عمل تصنيف لمفهوم الحلى سيكون كالتالي:
أخذ حامد ورقة وألصقها على جدار برلين، وأخذ يكتب عليها ويرسم.
حامد: هذا المربع الأول سنكتب بداخله حلى، تليه أربعة مربعات تابعة أسفل منه، الأول نضع اسم نبات، الثاني ثمر، الثالث حيوان، والرابع شجر، وفي أسفل كل مربع تابع نضع المسميات، "قصب، دبس، نحل، مابل"، ثم نكتب " قصب السكر، تمر، عسل، قيقب"، لاحظت معي عملية التصنيف؟ وهل لاحظتم أين سمة التشابه؟ والسؤال الآن هل باستطاعتنا توسيع دائرة العناصر هذه كي تشتمل "حلى" من أنواع أخرى؟
بدر: مثل ماذا؟
حامد: كفرحتنا بك يا بدر وبتخرجك، قطعنا أطراف الكرة الأرضية للقاء بك، هل لهذه الفرحة طعم مر أو حلو؟

خالد مقاطعا: وللذكريات الجميلة طعم أحلى من العسل.
بدر: رضا الوالدين أحلى وأحلى
حامد: ورضا رب العالمين والجنة. إذن نستطيع أن نقول أن هناك سمة مشتركة بين كل هذه العناصر من نبات إلى حشرات وذكريات وحتى العبادة، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "ذاق طعم الإيمان"، هذا يعني أن الطعم لا يقتصر فقط على ما هو محسوس.

خالد مقاطعا: ماذا عن طعم الخمره وطعم ممارسة الجنس؟
حامد: هذا يعني أصبح لطعم الحلو له أكثر من معنى، معنى إيماني، ومعنى محسوس، ومعنى جنسي، ومعنى فكري. ونسأل هل ثمة مفهوم هن؟ هل جمع مذاق الحلو بهذه الفضاءات جاء صدفة أم له ما يبرره ويعكس مفهوما معينا؟
يكمل حامد: مذاق الحلو هذا، والجميل بأبعاده المختلفة، يقرب لنا ما في الجنة من نعيم، الجنة التي فيها العسل والحور وأصناف الطعام، هو يذيقك طعمه بأبعاده المختلفة مقربا لك مفهوم الحلو، غير أن للحلو في ذات الوقت ضوابطه في الدنيا ولا ضوابط له في الآخرة، وهو ما يجعله أكثر تميزا في الآخرة،
إن مفهوم الحلو هنا أصبح له قاعدة على تنوع مشاربه، فإحرص على الحلو الأبدي أمام حلو لحظي، والحلو اللحظي مر طعمه ونتائجه وخيمة إذا لم يكن مساره وفق السنن الكونية فنتائجه من ذهاب عقل إلى مرض نقص المناعة إلى القلق والتوتر إلى ذرية من اللقطاء؛ مجهولي الهوية، والإجرام وما إلى ذلك .. وفي المقابل سمو عقلي وروحي وقبول مجتمعي ونمو في الممتلكات وذرية صالحة يستمر من خلالها أجرك فلا ينقطع حتى بعد الموت وطمئنينة، ذلك هو مفهوم الحلى، وذلك كله من "القيقب" بارك الله لنا به من شراب.

يحدث خالد نفسه وهو ينظر نحو خاله أبا عبد الله قد شغلته القراءة، يمسك بيده كتاب لم يبرح يده، ما جعله يتسائل عن نوع الكتب التي يهتم بها، حامد والكتب قصة أبدية، مصدر المعلومات بالنسبة له والإطلاع وقد كرس حياته في التقصي والبحث سواء من خلال شبكة الإنترنت أو مجموعة الكتب الهائلة التي تثقل أرفف مكتبته الشخصية، لا يميل حامد إلى مجالس الرجال -الديوانية- فهو يرى أنه المكان المناسب الذي يكثر فيه اللهو والنميمة سوء الظن والغيبة، كان خالدا حريص على معرفة اسم الكتاب الذي لازم حامد طوال الرحلة من تركيا إلى كندا فقرر أن يسأله أخيرا: ما الكتاب الذي بيدك؟ لا أراك تتركه أبدا"، في طريقهم عبر حقول الخوخ متجهين إلى بحيرة، ينتظرهم هناك مركبا كبيرا ليأخذهم في جوله بين ألف جزيرة، رحلة حالمة للغاية.

يرد حامد: مع تلك المناظر الآسرة تصعب عملية إشغال العين في مطالعة كلمات الكتاب، صرف البصر نحو جمال طبيعة هذه الأرض وسحرها، لا تكاد تستقر على لون واحد؛ مهرجان من الألوان يحيط بنا من كل جانب، فشجر أخضر وآخر أحمر وثالث برتقالي ولا تعرف إلى أين يمكن لعينك أن تستقر!
خالد: وماذا عن الكتاب الذي بيدك؟
حامد: سأقرأ عليك بعضا منه حالما نصل الجزيرة التاسعة.
خالد: الرقم تسعة مرة أخرى!
حامد: لأبين لك أن اختياري لما سأقرأه له علاقة بحديثنا بل أحاديثنا كلها طوال هذه الرحلة، فما رأيك؟
خالد وبدر: إتفقنا.

وصلت سيارة بدر والذي كان يقودها نحو المرفأ، وحصل الجميع على التذاكر بعد أن تأكد المحصل من أن الجميع لديه جوازات صالحة، سأل حامد بإستغراب: "لماذا يسأل عن الجوازات؟ لن نغادر كندا!

بدر: سبق وسألت خالد قبل مغادرة المنزل إذا كانت لديك فيزا لدخول الولايات المتحدة الأمريكية وقد أفادني بالإيجاب، أما نحن فلا حاجة لنا بها إذ أنّا نحمل الجنسية الكندية، ولأننا سنتجول بين هذه الجزر والتي جزء منها تابع للولايات المتحدة فقد وجبت الفيزا

أبدى حامد إعجابه بالتنظيم، وسارت بهم الباخرة في البحر كما لو كانت جولة من خيال طفل؛ يسرح ويلعب ولا يعرف غير الإنبساط واللهو، يتأمل حامد السماء والأجواء الرحبة والنسيم العليل من حوله، غير مصدق لما يره، نعم تذكره هذه الجولة البحرية بالتي قام بها في بحر البسفور وهو متجه نحو جزيرة الأمراء في بحر مرمره، غير أن تلك كانت لها طعم خاص يذكره دوما بطعم الشاي التركي، أما الجوله هذه فهي حالمة نديه؛ الضباب جميل منتشر يغطي وجه بعض الجزر، يذكره بالأفلام السينمائية، تكاد تفقد واقعيتها لأنها أضحت كما لو كانت مشهد سينمائي مصور بعيد عن الواقع، أخذ يتنفس الصعداء كي يتأكد من حقيقة ما يرى، واستمرت في إبحارها الساحر حتى قطع تأمله بدر: "الجزيرة رقم تسعة"، قال يسترعي إنتباه خاله مرددا: "الجزيرة رقم تسعة"، استيقظ أبا عبد الله من لحظة إفتراضية، فقال على الفور: "الحمدلله الذي أحياني.."
سأل خالد بإستغراب: نعم؟
حامد: لا شيء.. كنت سارح الذهن، أين وصلنا..؟ الجزيرة التاسعة إذن أمامنا ٩٨١ جزيرة!
بدر: لا يا سيدي، دعني أوضح نحن الآن بين مجموعة من الجزر هي بالمئات وسنعود بعد ساعة محدده جولة بين مجموعة من ألف جزيرة.
يبدأ حامد في قراءة بعض فقرات القصة فيقول: صفحة عشرون، يقول الكاتب أورهان، " قسمت القصة التي أريد أن أحكيها إلى أقسام وقررت أية موانئ سوف تزورها سفينتي وأية أحمال سوف تحملها وتنزلها طوال الطـريق"، هل لاحظتوا كيف ربط بين الموانئ والسفن والقصة؟ وفي صفحة المائة والثلاثة والثلاثين "فإن المتعة التي أستمدها من القراءة امتزجت بإستمتاعي بالكتاب كشيء مادي، هذا هو السبب في أنني أحمله كما لو كان تميمة يمكن أن تجلب لي السعادة"، لاحظوا هنا السمة المشتركة فيما بين الكتاب والتميمة! ويصف الزلزال الذي أصاب إستانبول فيذكر في صفحة المائة والثلاثة عشر تحت عنوان "الزلازل في اسطانبول" فيقول: أما بالنسبة للمآذن فالقصة أسوأ كثيرا في كل الزلازل الكبرى التي ضربت المدينة

مدى الخمسمائة سنة الماضية بما فيها زلزال "يوم القيامة الأصغر" الذي ضرب المدينة في عام 1905 كانت المآذن المنهاره أكثر بكثير من القباب المنهارة... لتقع مئذنة مثل سكين التورته فتقسم البيت إلى نصفين".

وفي صفحة مائة وتسعة يذكر "إن الكبرياء القومي وثقة البلاد بنفسها هذان أيضا إهتزا بشدة في الزلزال"، لاحظوا الجمع فيما بين الزلزال والثقة والمئذنة والتورته، حيث لا أساس ولا رابط يجمع بينهم! ثم يستطرد في موضع آخر من كتابه فيقول: "وأبدأ في قراءة الكتاب على ضوء مصباح من مصابيح الشوارع،
كنت أشعر أن الكتاب جزء من العالم الطبيعي مثله مثل القمر والبحر والسحب والشجيرات... وبعد الإنتهاء من صفحات معينه من هذا الكتاب المدهش، كانت عيناي تتراجعان عن الكتاب القديم الذي أحمله في يدي للتحديق في صفحاته الصفراء عن بعد بنفس الطريقة التي كانت تحدث وأنا طفل عندما كنت أتناول مشروبا محببا إلي كنت أتوقف من وقت لآخر للتحديق إلى الزجاجة في يدي"، ربط موفق بين زجاجة المشروب الغازي والكتاب والمصابيح والقمر والشجر! وفي موضع آخر بالتحديد في صفحة الثلاثة والثمانين يذكر: "ولكن عندما كنت طفلا، كان يخيفني من الحلاقين أنهم كان بامكانهم استخراج الكلمات من أفواهنا بمهارة مثلما ينتزع أطباء الأسنان ضروسنا وينشرونها بسرعة مثل أية صحيفة"، وضمن مقال "الحلاقين" يعلق ليذكر: "أدركت أن الحلاق الذي يحلق لك بصمت دون استخراج كلمة من فمك أو يشارك في أي ثرثرة سياسية أو محلية ولا يلعن أحدا ليس حلاقا على الإطلاق"، لاحظوا الربط فيما بين المياه والنمل والصحيفة!

وجاء تعليق حامد: "إذن هناك دوائر من العلاقات محورها مفهوم "الكلمة/ الكلمات" تجمع فيما بين العناصر التالية وهي (المياه – النمل – القصة – الفجوات والشقوق الصخرية – السفينة – الموانئ – المأذنه – السكين – القمر – الشجر – السحب – التميمة – المشروب الغازي – الزلزال – الثقه – طبيب الأسنان – الحلاق – الصحيفة – الكتاب) في هذه المرحلة نحن تعرفنا على دوائر التشابه، نحن في المرحلة التالية بحاجة لما ينم عن قاعدة تخضع لها كافة تلك العناصر بما يؤكد من أن "المتشابهات تتجاذب"، فأين التجاذب بعد أن كشفنا عن التشابه؟
إن ما تقوم به العلامات والماركات التجارية هو عملية غرس "المفاهيم" من خلال السلع والخدمات التي تقدمها، وكي تتعرف على ما تم برمجته من مفاهيم في دماغك، أسألكم عما يمكن أن تعنيه لكم العلامة "صح"؟

خالد: علامة نايكي

حامد: نعم هي رمز لعلامة "نايكي" فهي تعني Just do it كما تعني "مايكل جوردن" وتعني الرياضة وليست وجبات سريعة، وتعني مجموعة من المنافسين هم "بوما وأديداس"، وتعني العلم الأمريكي وناطحات السحاب وتمثال الحرية، تلك العناصر إختزلت في الرمز "الصح"، فأصبح مفهوم هذا الرمز "الحيوية، عدم الكسل، المبادرة، النجاح، الرياضة.." والأمر مماثل مع الرمز الذي يحمل حرف "M" الإنجليزي والذي يعني يا بدر..؟

بدر: ماكدونالدز

حامد: هذا صحيح، فهو يعني "الوجبات السريعة، والعلم الأمريكي، والشبس والكولا والهامبورغر. إذن تلك العناصر لا يوجد بالأساس بينها جامع غير أنها جمعت وفق مفهوم في دماغك كي يعني لك شيئا محددا في النهاية، ليس مجرد شيء وإنما شيء يعبر عن "مفهوم" مفهوم المبادرة ومفهوم اختزال الوقت ضمن وجبة لذيذة تمضيها مع أفراد أسرتك.

بدر: طيب، وما علاقة الرقم تسعة بتلك المقتطفات التي استعرضتها لنا بالتو، هل أردت أن تستعرض لنا قدرات الكاتب البلاغية فحسب؟
حامد: نرجع من جديد إلى الخارطة الذهنية للبنية الخاصة بالمفاهيم غير المرئية تلك، ما المفهوم الذي يطرحه نموذج "الكلمة" والذي يطرحه نموذج "النمل" مثلا. قد يتشكل المفهوم من خلال تقسيم تلك العناصر المكونه له من مجموعات تابعه في مثل:
مجموعة "الحلاق" والتي تتشارك في علاقاتها (كلمات – صحيفة - ...)

مجموعة "الكتاب" والتي تتشارك في علاقاتها (قمر – سحاب – شجر – تميمة – مشروب غازي)

مجموعة "الكلمات" والتي تتشارك في علاقاتها (مياه – نمل – تشققات وفجوات صخرية)

مجموعة "الزلزال" والتي تتشارك في علاقاتها (الأخبار – مئذنة – تورته – سكين)

ثم نحاول أن نتعرف على مفهوم كلي كما لو كان مظلة جامعة للمجاميع التابعه تلك، المفهوم الذي يمكن أن نصل إليه قد يشير إلى الدور الحيوي والهام "للكلمة" لاحظ كيف أن الحلاق لم يوصف من خلال وظيفته "المقص والمشط" وإنما من خلال ثرثرته وتدخله فيما لا يعنيه، فهي"الكلمة" قد تودي بك إلى أسفل سافلين وقد ترفعك عاليا في السماء، لذا هي تحدث أخبارها "الأرض" إذا زلزلت، وعليه جاء التحذير من أثرها "ن والقلم وما يسطرون" وهي قد تهوي بك في قاع جهنم إن لم تلقي لها بالا" فالمفهوم عموما يدور حول "الكلمة" فإحذر تداعياتها، فهي إما لك أو عليك. "الكلمة" تبحر كالسفينة عبر موانئ مجاميع البشر، ولها قدرة الزلزال فتدمر، والجميع يجب أن يراعي ما يقول ويتلفظ كل في مهنته وحتى الحلاق بالرغم من بساطة مهنته. ذلك هو المفهوم إذن في زواياه المختلفة كل عنصر جاء كي يعززه كما يعزز مفاهيم أخرى من جهات أخرى أيضا.

حامد موجها الحديث لخالد: لا يزال طعم الكستن في فمي هل نجد عندك كستن؟ ذكرتني باستنانبول.
خالد: إذا كنت مصرا شاغبت السناجب تلك على ما تحمل من طعام كأنه الكستن

رست الباخرة عند إحدى الجزر، وعزم الثلاث على أكل السمك دلتهم حاسة الشم على أطيب مطعم يقدم أفضله رائحة الشواء تقول أن السمك طازج وشهي جدا فهناك تقدم أنواع متنوعة من السمك وقد اشتهر صيادو تلك الجزر باصطيادها، أكل الجميع ما لذ وطاب ولم يتبق من الزمن المقرر في هذه الجزيرة سوى الخمسة عشرة دقيقة وإلا ستبحر الباخرة عنهم بعيدا ويضطر المخلفين للمبيت في الجزيرة، طفق الثلاثة مسرعين نحو المرسى يركضون. وبعد أن أخذ كل منهم مقعده في المركب أخيرا، ومع حركة المركب ثمة سباق كان يشعرهم به جموع طيور النورس التي ما تتركت المركب متطلعة لفتات خبز أو قطع من البطاطا تقذف إليهم في الفضاء، وكأن لسان حالها وهي تتصارع في إلتقام فتات الأكل: دعونا نريكم قدراتنا ومهاراتنا في التحليق ومسابقة ما تركبون.

استغرب خالد من السرعه التي تمضي بها الساعات في الطائرة ....

فصل تشغيل المفهوم

في المطبخ حيث الجميع في انشغال في تحضير وجبة الإفطار، يقرأ بدر صحيفة اليوم بينما يعد الشاي، "إنها والله لفكرة!"، صاح بكل حماس

خالد: أي فكرة؟
بدر: إعلان في الصحيفة يدعو العامة إلى يوم مفتوح سيقام في "كيوبيك" خاص بالهنود الحمر في صباح الغد، فإن شئتم شددنا الرحال إلى هناك ننظر في هذه الفعالية. خاصة أنه لم يتبق لنا غير هذا اليوم بعدها نعود إلى البلاد.
حامد: وما يميز الهنود الحمر هؤلاء؟ وكم يبعد المكان عن تورنتو؟
بدر: حول الثلاث ساعات تقريبا، للهنود الحمر ثقافة مختلفة تماما عن باقي الثقافات، ما زالوا يفخرون ومتمسكين بها، يعيشون عيش البدائية فكما تعرف هم السكان الأطليين لهذه الأرض لكن حقوقهم مهضومة، فقد تم عزلهم في مجتمعات مسيجة حتى يتخلصون من مشاكلهم.

حامد: تبدو حكاية مشوقة، أنا جاهز.
خالد: سأذهب لأن الرفقة مشوقة.

<u>كويبك</u>

إتجه الثلاثة في صباح اليوم التالي بعد صلاة الفجر مباشرة إلى مدينة "كيوبيك"، مرورا بمقهى الكنديين المفضل "تم هورتن"، عند النافذة المخصص لطلبات السيارات المارة ألقى بدر طلبة السريع: 3 Black coffee please
واصل الركب مسيرهم نحو الطريق السريع، وواصل الثلاثة نقاشاتهم الحارة والأفكار تعصف بهم كل على فرسه في سباق محموم، تزيد درجة حماس النقاش رشفات الكافايين.

حامد: أبدا لم يكن هذا القصد إنما يتم تحديد المفهوم أولا ومن ثم نحدد ثلاثة عناصر مثلا، ليس بينها أية علاقات ثم نحاول أن نوجد فيما بينها ما يعزز سمة مفهوم ما، مثل مفهوم النصرة، فمن سيبدأ أولا؟

خالد: سأبدأ أنا، والعناصر هي كالتالي: (إطار سيارة، شجرة، بحر) فياترى هل يشكل ما سبق أي سمة تشابه؟
بدر: قد تكون السمة، الطفو مثلا، فالإيطار والشجر يطفوان على الماء.
حامد: أحسنت يا بدر، أما أنا فأجد أن السمة هي في أن كل منهم يحوي حرف الراء، مبدئيا، أما الأمر الآخر أعتقد ممكن تكون السمة والتي لها علاقة أيضا بمفهوم النصرة هو أن الإطار يستخدم في الإنقاذ إذا وضع في الماء وكذلك الأمر بالنسبة للشجرة، ومن ناحية أخرى فإن الإطار بحكم شكله المستدير فله سمة الحركة والإنتقال وهو ما يعزز تلبية النداء والأمر كذلك بالنسبة لجذع الشجرة أما الماء فهو متحرك بالأساس خاصة في الأنهار أو البحار، فجميع العناصر معززة لمفهوم النصرة.
يسأل بدر مقاطعا: وهل تتغير السمة فيما بين العناصر إذا غيرنا المفهوم؟
خالد: ونعم السؤال
حامد: لنحاول
بدر: ما رأيكم بمفهوم العدل مثلا
حامد: لنقوم بتعريف العدل أولا، وبشكل سريع أقول أن العدل هو عدم التطرف، وهو أيضا التوازن.
خالد: كما يعني رد الحقوق إلى أصحابها
حامد: أحسنت يا خالد.
بدر: فإذا طبقنا مفهوم العدل على العناصر السابقة نصل إلى التالي: في الشجرة نلاحظ على سبيل المثال النخلة كيف أن جميع السعف موزع بشكل متزن في جميع الجهات وهو ما يحقق التوازن لها فلا تميل وهي صورة معززة للعدل، وفي إطار السيارة نلاحظ أننا نعمد إلى الميزان الإلكتروني حتى يبقى في مسار متزن
عندما يطوي الأرض في دورانه، أما بالنسبة للبحر فكلنا يعلم أن حركة القمر حول الأرض سبب ظاهرة المد والجزر اليومية، فثمة توازن في الحركة دقيقة فيما بين حركة البحر وحركة القمر.
خالد: رائع، ما الذي يمكن أن نستفيده من ذلك؟
حامد: أن كافة العناصر من حولنا منضبطة بقوانين ومفاهيم، وأن هذه القوانين والمفاهيم تعتبر بمثابة نواميس يمضي على نحوها هذا الكون ومسيرها الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم، وهو ما يمنحنا شيء من شكل التسبيح والطاعة التي امتثلت إليه الأرض والسماء عندما "قالتا أتينا طائعين"، كما تعزز لنا من أن خالق هذا الكون واحد لا شريك له، ذلك إن هذا الإنسجام والتوافق والسمات المشتركة، البنية التحتية غير المنظوره هذه، هي جزء من إعجاز الله في كونه وهو ما أمرنا بالتأمل فيه من خلال (اقرأ) ومن خلال "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين" ومن خلال "ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا "

بإمكانك تحدي أي شخص لتريه أن كل الأشياء من حولنا تعبد الله وتطيعه هذا إن أحببت أن تتأمل أكثر، اطلب منه يعدد لك مجموعة من الأشياء ليس بينها رابط، بين كيف أن فيما بين هذه الأشياء علاقة واضحة حيال مفهوم هو إختاره، ما يشير إلى امتثال وطاعة هذه الأشياء خاصة أنها غير مجبولة على الإختيار كالإنسان، وفي هذا نستنتج أمرين: الأول: الإمتثال للمفهوم تحقيقا للآية "أتينا طائعين" والثاني: إن خالق هذا الكون واحد لا شريك له لأن هذه الأشياء إنعكاس طبيعي لصفاته فهو خالقهم، وهذا بحد ذاته تعبير بالغ لمفهوم العبادة ومفهوم الطاعة ومفهوم صفاته سبحانه.

خالد: إذا هذه هي القراءة، كأني صرت أفهم الآية "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " بشكل جديد الآن.
حامد: أحسنت، هذا تأمل يستحق البحث والتدقيق، فالإعجاز في القرآن يفوق مسألة الألفاظ، ذلك أن كل لفظ مرتبط بمفهوم وبنية تحتية متكاملة منثورة في ما هو حولنا من كون وفي أنفسنا، ناهيك عن سياق اللفظ، فالأمر غاية في التعقيد ليست مجرد ألفاظ يتم نظمها في سياق مسجوع. وكل شيء في هذا الكون محوره الأول والآخر هو الله بأسمائه وصفاته، ولأنه سبحانه المحور فجميع المفاهيم تنطلق من تلك الصفات والأسماء، لذا فإننا نعتقد بأن كل مشهد من حولنا مفعم بالرسائل والمفاهيم بعدد

أسمائه وصفاته، وعليه يكون لكل مشهد ٩٩ قراءه لا قراءة واحده، وعلى هذا النحو نكون بذلك قد تعرفنا على المفاهيم المحركة لهذا الكون والتي تعتبر نواميس محركة له، من عرفها اطمئن وتحقق لديه الإنسجام الداخلي مع ذاته ومع من حوله ومع ربه، ومن لم يعرفها سيقول: لمَ جئت ومن أين جئت لست أدري، كما قالها إليا أبو ماضي:

"جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري "

وصلوا أخيرا إلى موقع الإحتفال بيوم الهنود الحمر، البشر في انتشار رهيب، تعلو أصوات دق الطبول، خيام نثرت أرضا يمينا وشمالا بألوان شتى، مصدر دخان من بعيد يشير إلى مكان شواء يبدو الجميع في فرح ومرح صخب وأغاني وأصوات تماتم الهنود تسلي العامة، يتفحص حامد بشغف كل ما يقع بين يديه، حقا إنها لثقافة خاصة يتأمل مقتنياتهم من الحلي وأعمال يدوية تم حياكتها بمهارة عالية الرجال والنساء حتى الأطفال يبدون مختلفين عن العامة بلباسهم وما رسم على وجوههم من أشكال ورموز.

لفت إنتباه حامد أحدهم يرتدي زي الهنود الحمر المرقع بألوان فاقعة تشد النظر وتاج فوق رأسه زينته ريشة جميلة الشكل، فسأله عن سر هذا التاج؟

الهندي الأحمر: هو تقليد ورثناه من الآباء والأجداد كما أنه علامة السيادة، وهو أيضا يشير إلى رتبة الرجل بين قومه.
خالد لبدر: خالك شغوف وحريص على طلب العلم والتعلم، هل تعتقد أننا ورثنا هذه الخصلة من طرف الوالده؟
بدر: وهو كذلك، فالوالدة دكتورة في الجامعة، وأنت مغرم باللغات، وأنا أخطو خطوكم.
حامد لأبناء أخته: يذكرني تاج الرجل الهندي هذا بجنبيه اليمنيين.
خالد: وما هي الجنبيه؟
حامد: خنجر يلبسه الرجل اليمني كتقليد ويعتبر من اللباس الشعبي، نادرا ما تجد أحدا لا يرتديه حتى الغلمان تفعل.
بدر: سبق أن زرت اليمن؟
حامد: ثلاث مرات، أحب أن أكرر الزيارة للرابعة والخامسة.
خالد: وما سر انجذابك لتكرار الزيارة أجدك دائم الحديث عنها توقعتك شغوف بالولايات المتحدة أو سويسرا مثلا.
حامد: أتذكر المكتبة التي زرناها معا في استنبول؟
خالد : أذكر، ذلك الكتاب الذي حرصت على أن أطلع عليه المليء بصور الطبيعة.
حامد: وجدت كتابا مصورا مماثل يتحدث عن الحضارة اليمنية أعجبني جدا وقد اصطحبته معي في رحلتي هذه.
بدر: وما علاقة الكتاب هذا بالهنود الحمر؟
حامد: أبد لا علاقة سوى أن تتعرف على تفاعل البشر مع ما حولهم فتتشكل على ضوء ذلك حضارتهم، يعني لاحظ مثلا بيوت الهنود الحمر، صنعت من الخيام، أما بيوت اليمنيين فقد أخذت تصميم موحد لم تغير لأكثر من ألف سنة. وهذا له علاقه بالعادات والتقاليد وعملية التواصل مع الغير والطبيعة الجغرافية التي تتشكل بتشكل وتنوع كل ثقافة لأن شكل كل حضارة وانتاجها يتلون بما تعتقد فيه من مفاهيم، أتيت اليوم لأتعرف على مفاهيم أمة هنود الحمرمن خلال عاداتهم وتقاليدهم ومنتجاتهم. سأطلعكم على شكل الجنبيه اليمنية وصور من حضارة أهل اليمن بإذن الله.

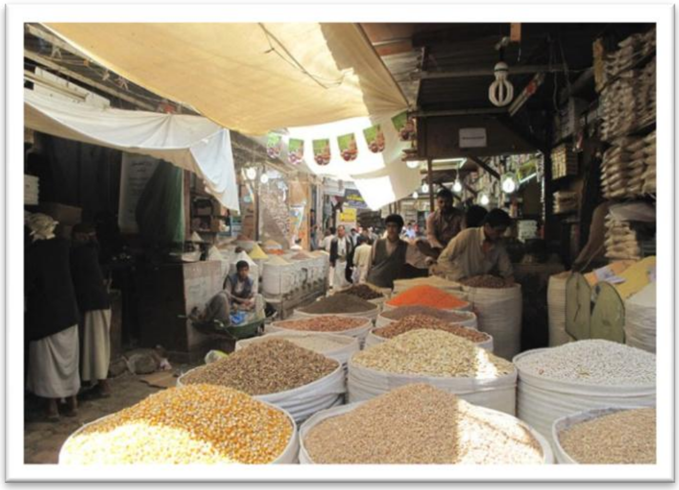
زياره لباب اليمن

يعرض بدر على خاله زيارة خاطفة لقرية تدعى لندن في أحد ضواحي سانت كاترن من مقاطعة اونتاريو، أحب بدر شغف خاله واهتمامه بحياة الشعوب والتراث الإنساني وقد رحب حامد بالفكرة إذ قال: نضرب عصفوران بحجر نرى لندن واليمن في آن واحد، سأصطحب معي الكتاب المصور الخاص بالحضارة اليمينة لأقص عليكم ما شاهدته هناك.

أحب حامد الصورة المتقنة التي حرص على المحافظة عليها أهل قرية لندن، كل ما فيها يعكس لندن الحقيقية لكن بشكل مصغر الشوارع الممتدة والمباني الحجرية بتصميمها الفريد الحانات والمحال التجارية حتى الصيدلية التي تبيع الأدوية بأسلوب شعبي تقليدي قديم ما بين أنواع النباتات العشبية والمستحضرات الدوائية صفت لتستعرض الأرفف دونما حاجة لذكر تاريخ الإنتاج أو تاريخ الإنتهاء، كل هذه التفاصيل محفوظة عند حامد في ذاكرته وعززه بتفعيل مناسب بحواسه، قال حامد:
ما مصدر الطاقة لديهم ها هنا؟
بدر: لديهم آيسكريم طيب فما رأيكم؟
حامد: الله يبرد على قلبكم، توكل على الله

هنا بداخل محل الآيسكريم أصناف لا حصر لها من المذاقات والألوان استقر اختيار حامد على نوع قريب من مذاق العسل فأرخى حباله واضعا محمله، كتاب الحضارة اليمنية بجانبة على الطاولة حامد متأهب لتفعيل حاسة التذوق ليستزيد طاقة من السعرات الحرارية التي أخذته إلى اليمن السعيد.

خالد: لم أتوقع أن يكون اختيارك العسل، لو أنك اخترت مذاق الشوكولاته أو المانجا.
حامد: اختياري له علاقة باليمن، أحببت أن أعيش المذاق الذي سيأخذني إليها وأنا أحدثكم عن كنوزها.
بدر: وما علاقة هذا بالمذاق؟
حامد: العسل هو سمة التشابه بين المحل واليمن، أتعرفون أن أجود أنواع العسل وأفضلها على الإطلاق هو العسل اليمني ويسمى الدوعني، وهو غالي الثمن يصل النصف كيلو إلى ٣٠٠ دولار"، فتح أولى صفحات كنزه الورقي، فإذا بصورة محال تجارية تبيع البهارات في سوق يدعى باب اليمن، علق: "ليست كقرية لندن مع احترامي لهذا التراث وليست كثقافة الهنود الحمر مع احترامي لهم ولتراثهم أيضا، ولكن جميل أن نعقد مقارنات ونحلل إلى أن نصل إلى قناعات، هذه على سبيل المثال صورة مجموعة من المحال التجارية متخصصة في بيع أنواع البهارات بعضها لم أر مثله من قبل، هذه المحال ظلت على شكلها لأكثر من ألف سنة، وإذا أحببت أن تستزيد وتعيش التاريخ زور باب اليمن، ستجد العجاب في تصميم المباني متعددة الطوابق والأزقة الضيقة، تتسائل حينها من كان باستطاعته بناء مباني متعددة الطوابق قبل ألف سنة؟ وأنا أعني خمسة أو ستة طوابق لا أقل من ذلك، ناهيك عن أصل ومعدن البشر لم تتغير ولم تتبدل فتجده جليا في تعاملات الناس، حتى المسجد الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وحدد قبلته دون أن يزور اليمن له شأن عظيم، ويعتبر باب المين قبلة السواح الألمان والإيطاليين والأجانب بشكل عام، تجد الأجنبي يترك فنادق صنعاء ليسكنوا بيوت من حجر في داخل بوابة اليمن، متعطشين للتراث كعطشنا نحن للحداثة والعصرية.



بيع البهارات في سوق باب اليمن

يقلب حامد الصفحات، صورة لرجل مسن وبالقرب منه صبي كلاهما يرتديان اللباس الشعبي.

حامد: لاحظ الجنبيه، تعتبر جزء رئيسي من اللباس، هم الشعب الوحيد في العالم المدجج بالسلاح حيث أن السلاح جزء من لباسهم، وهذا يعزز مفهوم الإستعداد الدائم للقتال ويعزز مفهوم الرجولة ومفهوم النصرة ومفهوم الإعتماد على النفس هذا كله من خلال اللباس فقط، لاحظت كيف تم تشغيل مجموعة من المفاهيم من خلال اللباس فقط! ناهيك عن الزخارف والنقوش الجميلة المحفورة على كل جنبيه يدويا وهو ما يزيدها جمالا، وفي ذلك تعزيز لمفهوم الجمال"، يقلب الصفحة فإذا بيمنيان يرتديان عقدا من الأزهار.



معرس يمني وتاج الزهور



الجنبية اليمنية

بدر: غريب كيف جمعت الجنبيه والأزهارمعا ما الرسالة هنا؟
حامد: دعيت ذات مرة لحفل زفاف جماعي في صنعاء وقد كان عدد المتزوجين في ذلك اليوم ألف متزوج جميعهم كانوا يضعون طوق الزهر هذا على رؤوسهم فهي تقليد خاص بمراسم الزواج لديهم، السؤال هل نحن في الخليج نضع ما يشير إلى بث رسائل الحب والتقرب للزوجة في ليلة الزفاف؟ بالطبع لا، نحن لا نقدم حتى الورد في ليلة العرس! أما هم فقد عززوا هذا المفهوم من خلال مفهوم الود والمحبة والوصال قبل ليلة الدخله، لاحظوا أنهم يستعدون من الصباح الباكر في تلك الأهازيج والأغاني والرقصات لحين المساء، وهذا تشغيل عملي آخر لمفاهيم المحبة والتودد، فالله سبحانه هو الودود، وهي ممارسة عملية أيضا من خلال ما يلبسون.
يقلب الصفحة صورة لساحل حالم يمتد مد البصر.
حامد: يا سلام على عدن، ويا سلام على عاصم وأباه.
بدر: أين لا أراهم.. أين عاصم؟
خالد: وأين أباه؟
حامد: إنما هذه "عدن" حين تزورها ستشعر بأنك في "مالاقا" الإسبانية بشواطئها وناسها – بشكل محافظ طبعا – عجيبة هذه المدينة تدخلها من خلال لسان أرضي ممتد وعلى ضفتيه البحر ممتد أيضا أطرافها إلى أن تصل إليها، سكان المدينة مفعمين بالقيم حتى السارق فيهم إنسان قيمي فما بالك بالمستقيم منهم، شعب محب للأمانة والرجولة والنصرة والصدق والود والكرم، طبعا لكل قاعدة شواذ، قلوبهم طاهرة نظيفة لم تعكرها العصرنة، ممارسة المفاهيم وتشغيلها تبدأ مبكرا منذ نعومة أظافرهم، عاصم ولد في الثالثة عشر من عمره، حريص على تسليتي بالأحاديث والقصص والنوادر أثناء سفري مع والده محمد، تستشف من خلال حكيه نضج ورجاحة عقل يفتقدها من هم أكبر منه يعيشون حولنا، تربية تشغيل المفاهيم تشربها عاصم من والديه، أذكر عندما كنا في طريقنا نحو عدن مبحرين عبر وديان وجبال بدروبها الوعرة والجميلة في آن واحد، انفجر فجأة دولاب السيارة، فاستعد الجميع للتعاون لاصلاح ما طرأ، بادر عاصم بالنزول أسفل السيارة لعمل اللازم بالرغم من هزالة جسده وكنت متاكدا من عجزه لأتمام المهمه غير أنه أبى أن أقوم أنا بذلك فآثر البقاء تحت السيارة كي أكون أنا خارجها آمنا معافا، هذه رجولة وشهامة؛ احترام وخفض جناح وود وقيم لاحصر لها عبر عنها هذا الطفل بتصرف بسيط كهذا، لم ينتهي المشهد بعد، فقد طلب مني أباه محمد أن أبقى مع إبنه حاميا إلى حين عودته ببديل إطار جديد، غير ذلك الذي انفجر، من مكان بعيد؛ قرية تبعد عنا ساعتين، ليقوم عاصم أثناء فترة الإنتظار بمهمة التسلية من قصص ونوادر ما جعلت رحلتي هذه أكثر بهجة وإثارة، وتلك ممارسة لمفهوم حسن الضيافة والكرم من طفل صغير كعاصم، آه كم أنا مشتاق إليك يا عاصم.

فصل تشغيل المفهوم

في اليوم التالي الجميع في حالة استعداد للسفر كل إلى وجهته، خالد يعود إلى الكويت أما حامد فيعود إلى حيث أهله في استانبول مجددا، بينما يقوم بدر باستكمال باقي اجراءات فك ارتباطات دامت أربعة سنوات في هذا البلد، ولأن المطار يبعد مسافة الساعتين عن منزل بدر اتخذ المسافران كل من حامد وخالد سيارة الليموزين وسيلة للنقل إلى المطار. يكمل الإثنان حديثهما في مسألة التشغيل ليرد حامد قائلا:

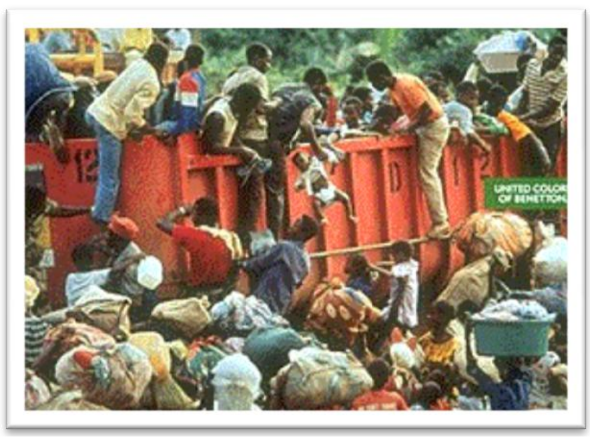
حامد: نعم تشغيل المفهوم، فالمفهوم يمر بثلاثة مراحل، المرحلة الأولى مرحلة الإرتقاء بالحواس و الإدراك، والمرحلة الثانية مرحلة صيد المفهوم، والمرحلة الثالثة مرحلة تشغيل المفهوم.

خالد: ماذا تقصد بتشغيل المفهوم؟

حامد: أقصد بها نقل المفهوم من إطاره النظري إلى إطاره العملي بما يجعله قابل للممارسة، مثال بسيط جدا على ذلك: علامة تجارية استطاعت وبنجاح تشغيل أحد المفاهيم لصالح بناء صورة إيجابية لعلامتها التجارية، والعلامة هي علامة إيطالية تدعى بنيتون أما المفهوم فهو (نبذ العنصرية)، حتى أن العلامة التجارية هذه جعلت شعارها اللفظي محوره هذا المفهوم ألا وهو the united color of Benetton وقد وظفت وشغلت هذه العلامة المفهوم بشكل ذكي، فصممت مجموعة من التصاميم الإعلانية والتي لا تظهر من خلالها أي سلعة من السلع وإنما صور معبرة عن مفهوم نبذ العنصرية وتعزيز المساواة بين البشر، فلا نرى غير مجموعة من الأشخاص في الإعلان؛ الأسود بالقرب من الأبيض والأصفر، بمعنى آخر الأفريقي بجانب الألماني بجانب الياباني والعربي وهكذا ضمن حملة إعلانية مستمرة.



نبذ العنصرية



نبذ الجوع

وفي حملة تالية في دعم مفهوم البذل والعطاء، كانت تصاميم الحملة داعية للقضاء على صور جوع الإنسان على الأرض، وهذا جانب من جوانب تشغيل المفهوم في مجال الصناعة الإعلانية وهناك جوانب أخرى قد تشتمل على المحاضرات والندوات وطرح الحلول ومناقشتها في المؤتمرات وإنشاء الصناديق الدولية من أجل تفعيل برامج معززة لتلك المفاهيم وكما بينا فالمفاهيم غير قابلة للحصر.

بدر: خالي، لو أنك تعطينا أمثلة أكثر على المفاهيم.

حامد: بإختصار شديد، هناك مفهوم كلي محورى وهناك مفاهيم تابعه، فالكلية هي تلك المشتقة من صفات الله وأسماءه في مثل الرحمه من الرحمن والرحيم والعطاء والجود وهو مشتق من الكريم والمعطي وجبر الحاجات والسعي في حاجات الناس من الجبار سبحانه وهكذا.. ثم هناك مفاهيم تابعه في مثل...

مع حطة الطائرة مطار دولة الكويت ،

حامد: متى تبدأ دراستنا في المعهد لديكم؟
خالد: أطال الله بعمرك، يوم الإثنين القادم، وسوف نبدأ بقاعدة لغوية جديدة.
حامد: ممتاز، بعد أن نمكث مع أهلنا في استنبول، يعني بعد تسعة أيام تقريبا يا خالد!
خالد: نستطيع أن نقول وبكل ثقة وبدون علامات تعجب أنك أستاذ كبير وصدرك واسع وقدراتك تسع الدنيا كلها.
حامد: تسع الدنيا! أم تسع ساعات؟ هذا وصف مبدع، سأضيفه إلى حصيلتي الثقافية.

فصل صناعه الجمال

مضت اربعه ايام ، شعر فيها خالد بالوحده ومراره الفرقه وشيئ من اللوعه التي ذاق جمال مضامينها في رحلته المكوكيه التي قضاها مع خاله واخيه ، كان يشعر في احيان ان تلك الرحله بالقدر الذي كانت فيه جميله هي ايضا جعلته يشعر بشيء من الكآبه ، ما جعله يفكر بسؤال يلح عليه في وحدته، حيال سبل الخروج وانتزاع النفس مما يحيط بها من غم وهم واكتئاب ، وهل سيضطر الانسان في كل مره يمر بها في مثل تلك الحاله من الغم للتفكير مجددا في السفر كي يخفف من آثارها النفسيه السالبه ؟ ظلت العديد من التساؤلات تلح علي خالد ، اثناء ما يقذفه اليه عقله من تساؤلات تذكر وهو يستهل للدخول الي احد المساجد العتيقه في منطقه الفاتح في اسطانبول مشهد ذلك الرجل الذي

كان يلبس قفازا في يد واحده ، واليد الاخري ملتقطه حقيبه ، والحقيبه كما يبدو لا تصلح لحفظ ملفات او حفظ معدات ، شكلها رباعي ، مستطيله ، وقذره من الاصباغ التي كانت تلفها ، تابعته بهدوء ، لقد اثار فضولي ، انه كما يبدو لي يبلغ من العمر دون الثلاثين ، هزيل الجسم ، يخفي سرا لا اعرفه ، لست فضوليا لمعرفه ما يخفيه ولكن تعابير وجهه تشير الي ذلك ، التف علي الفور نحو باب مسجد قديم بعد زقاق طويل ، كما لو كان يختبئ من شخص ما كان يتبعه ، تبدو عليه حاله من الارهاق والاضطراب ، كما ان شكله يبعث برساله اختلطت فيها معاني البؤس والفقر ، اختبئ علي الفور خلف حائط المسجد ، فتح حقيبته ، واخذ بشيئ مما حوته حقيبته من اصباغ وبدأ بوضع الالوان من تحت جفنيه ، ثم حول فمه ، فتغيرت صورته بشكل كامل ، فهو الان كما يبدو مبتسما ، وتعابير وجهه تنم عن حب الحياه بل عشقها و مليئ بالحيويه ، فويضع علي جسده بعض الملابس الملونه ثم قفز ليخرج من الباب نحو الشارع ، مرحبا بالجمهور وداعيا لهم النظر الي ما سيقوم باستعراضه من عرض مبهج ، هكذا في لحظه تغير كل شيئ من بؤس الي فرح ، من لوعه الي بهجه ، ومن بشاعه الي جمال ، ومن هنا نسأل ، هل الجمال صناعه ؟ وكيف يصنع الجمال ؟ وهل الجمال شيئ ظاهري ام هو شيئ كامن في العقل والقلب يكفيك ان تشعر به ؟ وهل يوجد في العالم الذي نحياه ونعيشه من لم يري ويعيش الجمال ؟

ثم ، ان كان العنصر الرئيسي في الجمال هو الشكل او المظهر ، ولم يكن ثمه مظهر يبعث بالبهجه والجمال ، فهل يعني ذلك اننا سنعيش في بؤس دائم منتظرين اللحظه التي يتغير فيها هذا المظهر ؟ كي نعيش في الجمال !

ذلك هو الحوار الذي دار فيما بين خالد وانتونيو ، في لقائهم الاول في السفاره الفرنسيه ، فلم يكن يتوقع خالد ان مدار الحديث سيكون في قضايا فلسفيه ، فلعل السفير انتونيو يريد ان يتعرف عن قرب عمق الاحاطه الفنيه والادبيه التي احضي بها قبل ان يقرر بشأن توظيفي في السفاره .

خالد يرجع في ذاك اليوم مرهقا من جو البروتوكولات والمجاملات المصطنعه التي استنزفت شئ من طاقته ، وقرر ان يتصل بخاله حامد كي يناقشه ويتعرف علي وجهه نظره في ذلك

أفاق خالد من لحظه التذكر والتفكر هذه فالتقط بشكل عفوي هاتفه الخلوي واتصل ،

خالد: ها ! اقول الحمد الله علي السلامه ، ياسلام والله ، انت الحين في بيتنا ! يالله انا طوالي ياي اسلم عليك

حامد: السؤال الهام ، كيف يحدث في احيان كثيره انه وبالرغم من صنوف الجمال التي تحيط بك سواء في منتزه ، او جوله بحريه او رحله خارج وطنك ، غير انك تشعر بالاكتئاب اضافه الي مزاج عكر ، لياتي السؤال التالي وهو الاكثر تعقيدا ، هل يمكنك ان تستخرج الجمال من مظهر كئيب او غير جميل ؟ او في مصيبه انت فيها ؟

ثمه جمال خارجي ويعكسه الشكل او المظهر

وثمه جمال داخلي يكمن في الروح والقلب ، ولكن ثمه جمال من نوع آخر صناعته دفنت اسرارها في جوف هذا الكتاب الكريم

خالد: ياسلام جميله عباره صناعه الجمال ، هل تقصد صناعه ما يبث البهجه والسرور في النفس مثلا

حامد: بل ، اردتك ان تسأل نفسك ، ان كان الله جميل ويحب الجمال ، فلم جعل نبيه ايوب في مرضه طيله تلك السنوات ، الم تسمع دوما من الناس وهم يقولون عباره ياصبر ايوب علي بلواه ؟

خالد: نعم هذا صحيح

حامد: ليس فقط نبينا ايوب ، بل حتي رسولنا محمد ص وحادثه زوجه عائشه مع الافك ، هل تعتقد ان امرا كهذا نتحمله نحن ، ان يعتقد الناس من حولك ان زوجتك قد فعل بها ؟ اريدك فقط ان تتصور حجم الهم والكدر وشكل العلاقه التي ستجمعك بها والي اي حد يمكنك ان تنتظر ! حتي تستبين الحقيقه !
خالد: والله هذا امر لم افكر به بهذا الشكل ، كنت اتلقاه كما لو كان مجرد قصه وعبره ليس اكثر
حامد: بل الامر اكبر من هذا بكثير يا خالد ، لم يسلم كل الانبياء وهم الخلص من البشر ، فهل سنسلم نحن ؟
خالد: بشيئ من الانزعاج ، ماذا تقصد ! ، ولكن الله يقول في كتابه ، مايريد الله بعذابكم ان شكرتم ،
حامد: ماذا تقصد ، هل تشك في حجم شكر الانبياء ، هم الشاكرون ولكنهم ابتلوا واصيبوا بما لا يتحمله بشر
خالد: اذا كيف نوفق فيما بين ، الايه ، وما تعرض اليه الانبياء من مصائب وفتن !
حامد: ثمت توازن بين ، الايه احسب الناس ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ، والايه ما يريد الله بعذابكم ان شكرتم
خالد : اين موقع التوازن ؟
حامد: لاحظ ان العذاب يقع حال اقترف الانسان الاثم ، ولكن لماذا يقع العذاب حال كان الانسان شاكرا ، هنا يجب ان ان نتعرف علي مفهوم المصيبه ، ما هو مفهوم المصيبه بالنسبه اليك يا خالد ؟
خالد: المصيبه بالنسبه لي تعني شي سلبي غير محبب ، بل يعتبره الجميع بلاء ، بل طامه ، ولها صور عده والجميع يتحاشاها ويتقيها من لوعه واسوداد الدنيا في نظرنا علي سبيل المثال
حامد: ولكن في القران يبين لنا الله ان البلاء قد يكون ايضا بالشيئ الذي تحبه الانفس ، فنلبوكم بالشر والخير فتنه ، واما الانسان اذا ما ابتلاه وقدر عليه رزقه قال ،
فالمصيبه اذا ليست فقط في الشي السيئ وانما ايضا في الشيئ المحبب الي الناس ، فقد تكون مصيبتك في مال وفير ترثه او صحه جيده وعافيه ، او ولد او زوجه فاتنه ، وهنا نستبين ان المصيبه تكون كذلك سواء في رخاء او في شده
هذه من ناحيه ومن ناحيه اخري ، فان لون المصيبه يكون دائما مشتق من لون ما انت تفتقده كي تكون بذلك قد تقدمت خطوه الي الامام ، فثمه علي الدوام حكمه في نوع وشكل كل مصيبه تصيب الانسان ، فلا عشوائيه ، بل يستبين الانسان بعد زوال المصيبه الحكمه ويدرك انه قد تعلم ، لذا نجد رب العالمين يقول ، لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير ، وهنا نحن بصدد (حادثه الافك) التي وصمت بها زوجه الرسول عائشه ، والخير يكمن في التربيه التي تلقاها اصحاب النبي في التبين والتثبت قبل اطلاق الاحكام .
خالد: اذا قد تكون المصيبه خير
حامد: فاذا من فوائد المصيبه انها تجعلك ، ان ادركت الحكمه ، ان تتقدم الي الامام ، وان لم تدرك فلربما مصيبه اخري من نوع آخر تجعلك تدرك فتتقدم ، وقد لا يتقدم الانسان هنا ان كان ظعيفا فيكفر ، فيتاخر نحو الوراء ، فاذا تاخر كثيرا ومع اكثر من مصاب ، فاعلم ان الله قد يوفيه من متاع الدنيا فحسب سواء من مال وفير او ما يشاء من متع الدنيا .
خالد: ولكن هل الالم مقصود حتي مع الصالحين ؟
حامد : نعم بل الصالحون يتعرضون بشكل مضاعف للمصائب ، ومع كل مصاب آلام قد لا تتحملها الجبال ، فها هو نبينا نوح ، قال ان قومي ....، وها هو ذا النون ذهب مغاضبا من شده الالم واعراض قومه ، فالله سبحانه من خلال الابتلاءات هذه يستخلص عباده ، فالجنه لا يدخلها الا الصالحون ، الم تسمع نبينا عيسي عليه السلام وهو يقول ، واحشرني مع الصالحين ، والله يؤكد من ان دخول الجنه هي لمن استوفي القلب السليم ، الا من اتي الله بقلب سليم ، كما يذكر عن صحابه رسول الله في وصفه لما هم فيه من كرب ، وزلزلوا ، متلفظين ، بمتي نصر الله ، كل ذلك ينم عن لوعه ، والم ، فهو سبحانه يعرضهم للفتن كي يستخلصهم ، ويزكيهم ويربيهم ، كي ينقلهم الي الجمال
خالد: جمال ! اي جمال في البلاء والفتن والالم ؟
حامد: بل ينقلهم الي جمال من نوع اخر ، جمال الله ، ففي تعرضك للفتن انت تلجئ الي الله ، تلجئ الي الواسع وفي السعه جمال ، تلجئ الي الباسط وفي البسط جمال ، تلجئ الي الرحيم وفي الرحمه جمال ، تلجئ الي العفو الكريم الغفار وفي هذا كله جمال ، فالله جميل يحب الجمال ، ولن تذوق الجمال الا باللجوئ اليه ، لان ما عدا الله باطل ..وهذا الذي وصل اليه الرسول ص عندما قال قولته ، لا ابال ان لم يكن فيك غضب علي ، وهو ذات الجمال الذي ذاقه ابن تيميه عندما قال ، ونفيي سياحه ، وسجني خلوه ،
خالد: هذا جمال خاص او هو للخاصه
حامد: فمع كل مصيبه تصيب البشر اعلم ان في ذلك تعزيزا للجمال ، وصناعه الجمال هذه غير متاحه الا لله سبحانه ، فهي غير متاحه للبشر ، فهي علي مستوا رفيع لا يعرف دروبه الا هو ، اما الجمال الذي يمارسه الانسان ويصنعه فهو ظاهري شكلي وبدائي لا ترقي الي تلك الصناعه الالهيه .
خالد: بوعبدالله هل لديك نماذج من واقعنا المعاش ؟
حامد: خالد ، الم تسمع من قبل شهرين ان الممثله الفلانيه قد تابت وتركت التمثيل !

خالد : بلا اعرفها ، والجميع يعرف سيرتها المخله التي كانت تبدو فيها كما تعرضها الصحافه علي شاشات السينما
حامد: اريدك ان تلاحظ صناعه الجمال بعد عامين من الان
خالد: بعد عامين ! كيف؟
حامد: بعد توبه هذه الممثله ، سوف تجدها تجتهد في عبادتها واستغفارها عما اقترفته ، ثم تنتقل الي دعوه من كان معها في سلك التمثيل للتوبه والعمل بحشمه بدلا من قبول اعمال مبتذله ومخله ، والسؤال الذي يبرز هنا ، هل تعتقد ايهما اوقع في دعوه الممثلات هي ام داعيه وشيخ لا يعرف عن الاجواء التي هم يعيشون فيها يسرحون ويمرحون ، الم تلاحظ كيف ان مصيبتها تلك التي كانت هي عليها اضحت سبب كبير في رفعها وعلو شأنها ، تلك هي صناعه الجمال ... فلا تحسبوه شرا لكم بل هو خير ، هذا فقط ان تابت وانابت ، بل هو شر ان عاندت واستمرت بما هي عليه ، ولاحظ الايه من سوره الاعراف ، فتولي عنهم ، اي نبيهم ، وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسي علي قوم كافرين ، وفي موضع آخر من نفس السوره نجد الايه ، وما ارسلنا في قريه من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ، ثم تاتي ايات تايات ، اذكر منها ، اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ،
خالد: اذا مع كل مصيبه ثم صناعه متكامله للجمال
حامد ، لاحظ هنا كيف انها ستقارن ما بين جمال كانت تظنه في علاقاتها السابقه مع جمال الواصل مع الله سبحانه ، فهو جمال الستر فهو الستير وجمال الهدايه فهو الهادي وجمال الجبر من كسر كانت هي فيه فهو الجبار وجمال الود الذي اصبحت عليه فهو الودود ، اصبحت تري كل شيئ من حولها من خلال مشكاه اسماؤه الحسني وصفاته ، هكذا جمال يرفع الانسان ويجعله يري مالا يراه الاخرون ، فعندما تحيط به مصيبه لا يضجر ، فيصبر مستعينا بالصبور ، عارفا بانه سبحانه ما كان ليجعله في مثل هذا البلاء والمصاب لولا حكمه سبحانه يريدنا ان نتلتفت اليها ، اليس هو بالحكيم ! فعندما تتجلي له الحكمه ، ويدرك الرساله ، اي الدرس الذي تلقاه من المربي وهو الله ، شكر ، اليس هو الشكور ، وهكذا يتقلب مع اسماء الله وصفاته ، متذوقا طعم الايمان ، وما اجمله من طعم ، تلك هي الصناعه ، صناعه الجمال ، يدرك حينها معني وصبر جميل وهجر جميل التي وردتا في القرآن ، فهذا المعني العميق لا يدركه الا من تعامل مع تلك الصناعه الربانيه ، فاصبح يتذوق الجمال حتي مع الحرمان ومع الصبر ومع الهجران .
خالد : وكيف نستفيد ، بما يجعلنا قادرين للتخلق بما يستوحي من صفات الله ، علمنا ان نكون كرماء لان الله كريم ، وان نمارس العفو فالله هو العفو ، ولكن انا لنا ان نمارس الجمال ، فالله هو الجميل !
حامد: هو ان تمكن الاخرين من ان يتذوقون روحيا ما انطوي عليه الجمال الفيزيائي المحيط بهم من خلال اسماء الله وصفاته ، اي اننا هنا امام ثلاث صنوف من الجمال ضمن دائره يستطيعها الجميع ، وثمت صنف رابع لا يدركه الا النخبه
خالد: وما هي تلك الصنوف الاربع؟
حامد: الصنف الاول جمال فيزيائي ، يدركه كل منا بحواسه الخمس ، من جمال الطبيعه من حولنا الذي ندركه من خلال حاسه البصر وجمال الروائح علي تنوعها من ازهار واصناف الطعام وغيرها التي ندركها عبر حاسه الشم وكذا جمال ندركه بالسمع وهكذا
خالد: والصنف الثاني!
حامد: هو ان تنتقل في التذوق من المحيط الفيزيائي الي المحيط الروحي ، فتستطعم الجمال في فعلك للخير من صدقه واحسان وعباده
خالد: والثالث
حامد: ان تنتقل الي مطالعه كل ما هو حولك من خلال اسماء وصفات الله
خالد: والرابع
حامد: ان تستبين وتتذوق الجمال من خلال ما يضعك الله به ويحيطك من فتن ومصائب ، فتدرك الصبر الجميل والهجر الجميل ، بما ينطوي عليهما من الم سواء من انتظار للفرج او لوعه لقطيعه وصدود ممن هم حولك .

تمرين للطلبة :

إختر فصلا من الفصول الثلاث السابقة ، وأكمل من عندك مشهدا يتفق ويتسق مع المشاهد التي إستعرضها الفصل .
ملاحظة: المشاهد التي ستجاز من قبل المؤلف سيتم ادراجها تحت اسم مؤلف المشهد الجديد المدرج لطبعة قادمة جديده لذات العمل الروائي هذا .
(ترسل المساهمات للبريد الالكتروني التالي : Mazq8@hotmail.com)